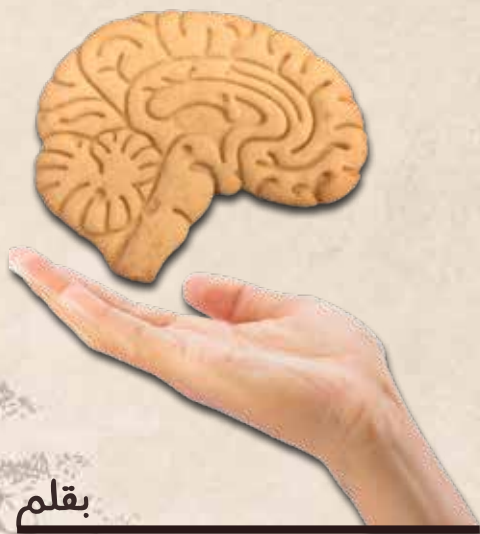


٢

هفمسات

أوراق من الحكمة



بقلم

الشيخ علي حسن غلوم



همسات

أوراق من الحكمة

بقلم

الشيخ علي حسن غلوم



الطبعة الأولى
١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٥ م

إصدار المركز الإسلامي الثقافي
لبنان - حارة حريك - مجمع الإمامين الحسين
هاتف: ٠١/٥٥٧٠٠٠ - ٠٢/٥٤٤٤٠١
خليوي: ٠٣/٨٠٧١٨٠

* * *

البريد الإلكتروني:
info@fadlullahlibrary.com

* * *

المواقع الإلكترونية - المركز الإسلامي الثقافي
sayedfadlullah.com

Facebook:
مكتبة العلامة المرجع السيد فضل الله العامة





المركز الإسلامي الثقافي

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ
وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ
خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا
أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

سورة البقرة: ٢٦٩

إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا
تَمَلُّ الْأَبْدَانُ، فَاهْدُوا إِلَيْهَا
طَرَائِفَ الْحِكْمِ

النبي الأكرم ﷺ

الحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ

نهج البلاغة - الحِكْمَةُ ٨٠

المقدمة



هذه "همسات" في حلقتها الثانية لسماحة العلامة الشيخ علي حسن غلوم، إمام مسجد سيّد هاشم بهبهاني/الكويت.. وهذه الهمسات تدخل إلى العقل بعد أن تمرّ إلى القلب.. حيث يضع سماحة الشيخ يده على كثير من الظواهر الدينيّة والاجتماعيّة والنفسية وغيرها، فيحلّها ويقف عند سلبيّاتها ليقوم اعوجاجها، ويقف عند إيجابيّاتها لتكون عبرةً وعِظةً



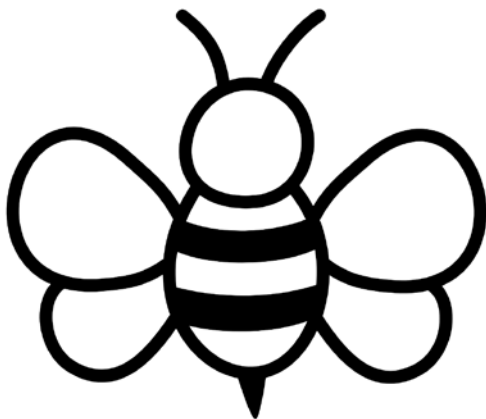
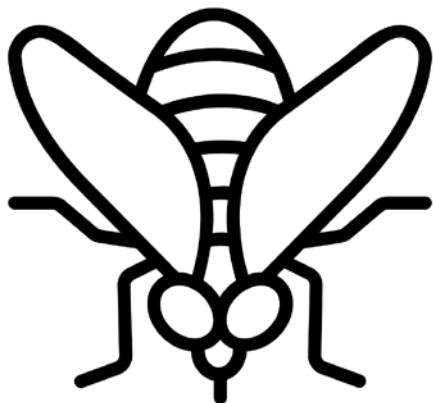
وموقفاً رسالياً حضارياً تستفيد منه الأمة لتبني حاضرها على
أسس الخير والتقوى والفضيلة، وبالتالي لترتقي إلى مستويات
عالية الشأن، تستطيع من خلالها أن تُخرج واقعنا من الانحراف
إلى الاستقامة، ومن التخلف إلى الوعي والتقدم، ومن الخوف
والقلق إلى الأمن والأمان..

وفي صدور هذه الهمسات، نتمنى لسماحة الشيخ علي حسن
غلوم ولكل العاملين في خطّ الوعي الإسلامي، كلّ التوفيق
والنجاح والتسديد، آمليْن أن تستفيد أجيالنا من هذه الرؤى
لتكوّن الحصانة الدينيّة والأخلاقية والتربوية..

والله الموفق لسبيل الرّشاد

شفيق محمد الموسوي

ربيع الثاني ١٤٤٧ هـ - تشرين الأول ٢٠٢٥ م



ذباب ونحل



ذُكرت الذبابة في القرآن الكريم، كما وُذِكرت النحلة فيه...
ولكن شتان بين الموردين:

﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ
وَالْمَطْلُوبُ ٧٣﴾ [سورة الحج].

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ
الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ٦٨ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ
رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ
لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٦٩﴾ [سورة النحل].

لاحظ الفرق بين الموردين، مع الذباب: سلب وضعف، ومع النحل: عطاء وشفاء.

وفي القرآن الكريم سورة تحمل اسم (سورة النحل)، بينما ليس فيه سورة تحمل اسم الذباب.

النحلة تبحث عن الورد والأزهار لتحطّ عليها، فتعطينا العسل، والذبابة تبحث عن القمامة والنجاسة لتحطّ عليها، وتنشر بيننا الأمراض.

والإنسان الذي يبحث عن أخطاء الآخرين، ويتتبع زلاتهم فينشرها، مثله كمثل الذبابة التي تبحث عن النجاسة والقمامة. أما الذي ينظر إلى إيجابيات الناس ويشيعها، فمثله كمثل النحلة التي تبحث عن الورد والأزهار.

يقول الإمام علي عليه السلام: (تأمل العيب عيبٌ) ... أي إنّ إمعان النظر والتدقيق في عيوب الناس هو سلوك معيب في حدّ ذاته. فكن كالنحلة.. ولا تكن كالذبابة.

عتاب بحساب



عن علي عليه السلام أنه قال: (عَاتِبُوا أَرْقَاءَكُمْ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ).
 قد يصدر عن الخَادِمِ أو الخَادِمَةِ ما لَا يُعْجِبُكَ، أو يَرْتَكِبُ
 خَطَأً مَا، أو لَا يَنْقُذُ مَا هُوَ مَطْلُوبٌ مِنْهُ بِالشَّكْلِ الصَّحِيحِ، وَقَدْ
 يَتَكَرَّرُ مِنْهُ ذَلِكَ.

الأسباب وراء هذا الخلل في إنجاز المطلوب يعود إلى أسباب
 متعددة، من قبيل الخطأ، أو الجهل، أو العناد، أو التعب، أو
 الشعور بالغربة، أو الاكتئاب، أو ظروف صحية، أو تغيّر
 هرموني ... إلخ.



في نهاية المطاف، هذا الخادم/الخادمة إنسان وليس آلة... هو/هي مشاعر، وطاقة محدودة... بل وحتى الآلة تتعطل، أو تعمل بكفاءة أقل من حينٍ إلى آخر.

الإمام عليه السلام في هذه الحكمة ينبّه إلى ما قد نغفل عنه في كثير من الأحيان، وهو أنّ مستوى الاستيعاب عند غالبية مَنْ يعملون في مثل هذه المهنة البسيطة متوسط أو ضعيف، ولا يتمتّعون بقدرات علمية ومعرفية متقدّمة، بل غالباً ما تكون تلك القدرات بمستوى أقل من المتوسط.

من هنا، ينبغي لصاحب العمل -عندما يعاتبهم أو يوجّههم أو يشرح لهم أو يُصحّح أخطاءهم- أن يأخذ هذا الأمر في الاعتبار، وهو ما لحّظه الإمام عليه السلام في حكمته حيث قال: (عَاتِبُوا أَرْقَاءَكُمْ على قدر عقولهم).



أَنْزَانَ الْمُؤْمِن



عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: (المؤمن إذا غضب، لم يُخرجه غضبه عن حق...) فعند الغضب، يفقد الإنسان أنزانه، وقد يبلغ غضبه مستوى يدفعه إلى أن يقول كلمة كُفر، أو يهضم حق إنسان، أو يصدر عنه ما هو محرم، كالسب واللّعن، أو يشهد شهادة زور، وقد يرتكب ما لا يجوز، فيضرب أو يقتل أو يتعدّى على ممتلكات الآخرين أو حرّماتهم.

والغضب هو الفرصة الذهبية التي ينتظرها الشيطان المتربّص بالإنسان كي يُحقّق من خلالها الوعد الخبيث الذي أطلقه -منذ

أَنْ فُشِلَ فِي الْإِخْتِبَارِ الْإِلَهِيِّ - بَأَنْ يُسْقَطَ بَنِي آدَمَ مَعَهُ إِلَى الْهَآوِيَةِ،
وَفِي الْمَرْوِيِّ عَنِ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ هَذَا الْغَضَبَ
جَمْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَتَوَقَّدُ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا
غَضِبَ أَحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، وَدَخَلَ الشَّيْطَانُ فِيهِ).

(... وَإِذَا رَضِيَ لَمْ يُدْخِلْهُ رِضَاهُ فِي بَاطِلٍ ...) فَالْحَبُّ قَدْ يُعْمِي
صَاحِبَهُ، وَيُزَيِّنُ لَهُ مَا لَا يَجُوزُ، فَيَشْهَدُ زُورًا لِصَالِحٍ مِّنْ يُحِبُّ، أَوْ
يُجَارِيهِ فِي الْحَرَامِ، أَوْ يَدَافِعُ عَنْهُ بِالْبَاطِلِ:

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ

وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْذِرُ الْمَسَاوِيَا

(... وَإِذَا قَدِرَ لَمْ يَأْخُذْ أَكْثَرُ مِنْ حَقِّهِ) فَالْقُوَّةُ أَوْ السُّلْطَةُ أَوْ الْجَاهُ
وَالْمَكَانَةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ، كُلُّهَا تُسَوِّلُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَسْتَغْلَ شَيْئًا مِنْهَا
لِلْحَصُولِ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ، فَيَغْتَصِبُ حَقُوقَ النَّاسِ، أَوْ مَمْتَلِكَاتِهِمْ،
وَلَرُبَّمَا حُكْمٌ لَهُ -عِنْدَ التَّخَاصُمِ- بِأَكْثَرِ مِمَّا يَسْتَحِقُّ، فَيُبِيحُ ذَلِكَ
لِنَفْسِهِ، وَهُوَ بِحُكْمِ الْعَقْلِ وَالضَّمِيرِ ظَلَمٌ، وَعِنْدَ اللَّهِ عز وجل حَرَامٌ.

وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّهُ يَمْلِكُ قِيَادَ نَفْسِهِ، وَيَتَرَفَّعُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ،
وَيَحَافِظُ عَلَى اتِّزَانِهِ فِي الْمَوَاقِفِ الصَّعْبَةِ، وَعِنْدَ الْمَغْرِيَّاتِ.

معادلة غريبة



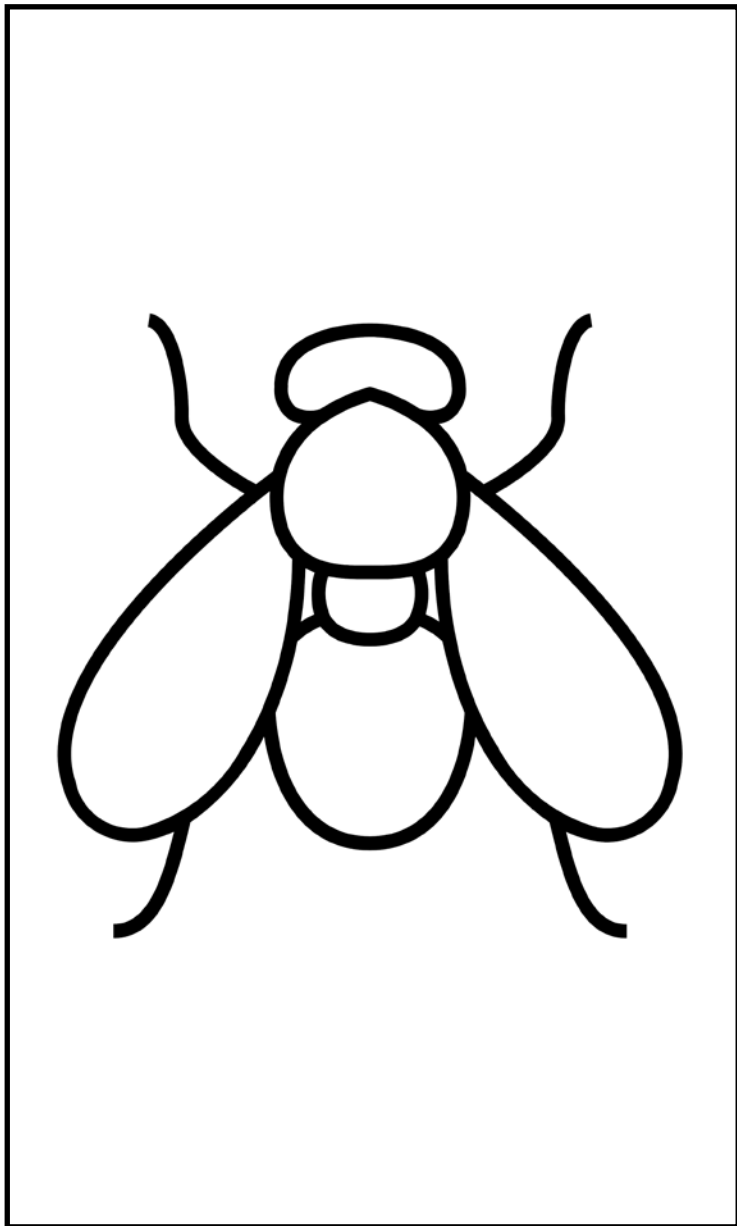
قد تمرّ بالإنسان ظروف مالية صعبة، ويجرب غير وسيلة للخروج من هذه الضائقة دون جدوى... فما العمل؟ هل من دعاء أو وردٍ ما، يقرأه المبتلى، فيخرج من هذه الضائقة المالية؟

١. الدعاء عندما ينطلق من القلب بحرارة وعفوية، وبإحساس الإنسان المعترف بضعفه، والراجي لربه، والمنيب إليه، يكون أقرب للاستجابة، ولكن يمكن الاستعانة أيضاً ببعض ما ورد في هذا الباب، ومنه الدعاء برقم ٢٩ من الصحيفة السجادية بعنوان (وكان من دعائه ﷺ إذا قتر عليه الرّزق). والدعاء الذي يليه خاص بما إذا كان مديناً.



٢. عن علي عليه السلام أنه قال: (استنزلوا الرزق بالصدقة). معادلة غريبة، أن تعطي من مالك للمحتاج وأنت في ضائقة مالية، فيفتح الله تعالى لك باب الرزق من حيث لا تحتسب! ولكنها رحمة الله، وفي الحديث النبوي: (الراحمون يرحمهم الرحمن)، وعن علي عليه السلام قوله: (ارْحَمْ مَنْ دُونَكَ يَرْحَمَكَ مَنْ فَوْقَكَ).

٣. في النهاية، قد تجرّب غير طريقة، فلا تتبدل أوضاعك إلى الأفضل، ولا يُستجاب دعاؤك، ولا ينفع شيء في رفع هذه المعاناة... حينئذ تذكر قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وتذكر هذا المقطع من الدعاء الذي يُصوّر حال الإنسان صاحب الحاجة وهو يدعو ويدعو، ولكنه لا يجد الإجابة: (فصرتُ أدعوك آمناً وأسألك مستأنساً، لا خائفاً ولا وجلاً، مدلاً عليك فيما قصدت فيه إليك، فإن أبطأ عني عتبت بجهلي عليك، ولعلّ الذي أبطأ عني هو خير لي، لعلمك بعاقبة الأمور).



ذبابة وصخرة



روي أنّ من وصية النبي ﷺ لصاحبه أبي ذر رضي الله عنه:

(يا أبا ذر، الْمُتَّقُونَ سادة ...) ولكنّ سيادتهم لا تدفعهم نحو الاستعلاء على الناس، بل هم المتواضعون الذين يَسْعَوْنَ لهداية الناس إلى التقوى.

(... والفقهاء قادة ...) فليدهم المعرفة التي يمكنها أن تبيّن للناس وتقودهم إلى طريق الصلاح والفلاح.

(... ومجالستهم زيادة ...) يستزيد الناس من مجالس المتقين

والفقهاء ممّا فيه صلاحهم.. يذكّرونهم بالله ﷻ وبآخرتهم،
وينصحونهم ويرشدونهم للخير.

(... إنّ المؤمن ليرى ذنبه كأنه صخرة، يخاف أن تقع عليه،
وإنّ الكافر يرى ذنبه كأنه ذبابٌ مرَّ على أنفه ...) والفرق بين
النظرتين واضح، فالمؤمن يستعظم ارتكاب الذنوب، أما الكافر
فيستخفّ بها، إما لأنه لا يخشى حساباً ولا عقاباً في الآخرة، أو
لأنه لا يقيم لذلك وزناً.

(... يا أبا ذر، إن الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيراً جعل
ذنوبه بين عينيه مُثَلَّة، وإلّثم عليه ثقيلاً وبيلاً. وإذا أراد بعبد
شراً أنساه ذنوبه. يا أبا ذر، لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن
انظر إلى من عصيت).

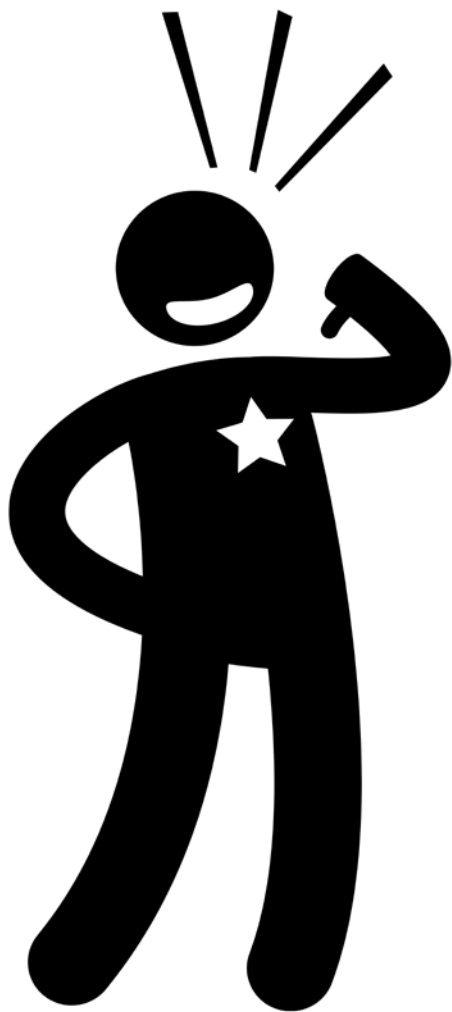
البحث عن العزة



عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: (شَرَّفَ الْمُؤْمِنَ صَلَاتُهُ
بِاللَّيْلِ، وَعِزُّهُ كُفُّ الْأَذَى عَنِ النَّاسِ ...).

في الجامعة، إذا أرادوا تكريم طالب متفوّق، أعطوه مرتبة
الشَّرَف إلى جانب درجة الامتياز.

والإمام الصادق - في هذا الحديث - يبيّن أن الإيمان يعني
الحصول على درجة الامتياز... ولكن مَنْ أراد الحصول على
مرتبة الشرف أيضاً، فعليه أن يهجر الفراش الدافئ والمريح



ويقوم للصلاة في وقت متأخر من الليل، حيث يعتاد الناس النوم، ويطلبون خلاله الراحة والسكينة، فيكون كما جاء في وصف الإمام علي عليه السلام للمسلمين الأوائل الذين تربوا على يد النبي صلى الله عليه وآله: (وقد باتوا سجّداً وقياماً، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم).

(... وعِزُّهُ كُفُّ الأذى عن الناس) العزيز هو القوي الذي لا غالب له... والعزّ: [القُوَّة والشَّدَّة والغَلَبَة والرَّفعة والامْتِناع].

يبحث البعض عن العزّ في الثراء، ويبحث عنه آخرون في كثرة الأتباع، والبعض يجدونه في كثرة الأولاد الذكور، بينما يسعى البعض لتحقيقه من خلال ارتقاء المناصب الرفيعة، أو بالشهرة، أو القوة.. القوة التي يخيف بها الآخرين، أو يستعملها ضد الآخرين، فيحقّق لنفسه -بذلك- الحصانة والمنعة.

بينما نخبرنا الإمام عليه السلام أن الأمر على العكس من ذلك، إذ إنّ تحقيق هذه الحصانة ورفع الشأن تتحصّل من خلال كُفِّ الأذى عن الناس، وهو ما يُكسِب الإنسان السمعة الطيبة والمقام المحمود عندهم.





قال ابن فارس في مقاييس اللغة: (التاء والقاف والنون أصلا، أحدهما إحكام الشيء). والإحكام: إنجاز الأمر بالصورة المطلوبة، وعدم وجود خلل أو ثغرات أو نقاط ضعف فيه.

في العلوم الحديثة ظهر مصطلح (الحوكمة) ويُراد منه: (تدعيم مراقبة نشاط المؤسسة، ومتابعة مستوى أداء القائمين عليها) والغرض من ذلك التحقق من إتقان العمل.

وفي تعاليم الإسلام، الإتقان مطلوب في إطار أعمالنا العبادية،

ولتلك المتعلقة بأمورنا الدنيوية، يشهد على ذلك:

(١) أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْعَى لِلتَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِ اللَّهِ ﷻ الَّذِي مَا خَلَقَ شَيْئاً إِلَّا بِإِتْقَانٍ: ﴿... صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ... ٨٨﴾ [سورة النمل].

(٢) ما روي حول الحثِّ على الإتقان، فعن الإمام الصادق ﷺ: (لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ رأى النبي ﷺ في قبره خللاً، فسوّاه بيده، ثم قال: إذا عمل أحدكم عملاً فليُتقن) ... قبرٌ سيصيبه الخلل بفعل الأمطار والرياح وعوامل الزمان، ومع هذا لم يتحمّل النبي أن يرى فيه خللاً ويسكت.. فهذا هو شأن من يرى في الإتقان صفةً لازمةً للعمل.

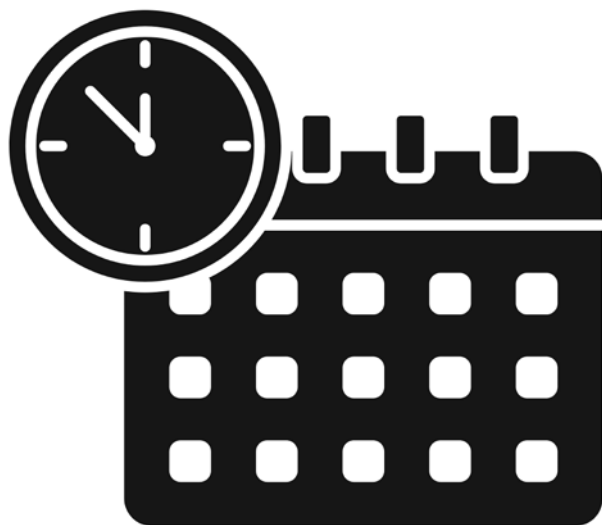
(٣) اشتراط النظارة ضمن أحكام الوقف والوصية، ومن مسؤولية الناظر ما يتعلّق بالحوكمة، أي مراقبة أداء المتولّي أو الوصي لضمان قيامه بالمهام الملقاة على عاتقه على النحو المطلوب، ومن دون أيّ خلل... أي إنجاز العمل الموكّل إليه بإتقان.

علّموا أبناءكم إتقان العمل، فهو بابٌ من أبواب النجاح في الدنيا والآخرة.



قال ﷺ: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ٥﴾ [سورة الرحمن]، أي خلقهما الله وفق قوانين ثابتة محسوبة حساباً دقيقاً، سمحت بأن يضبط الإنسان حركته وحياته وفق الإيقاع المنضبط لحركتهما وتغيرات أحوالهما، وأن يحسب من خلال ذلك الوقت والأيام والشهور والسنين.

ولذا قال ﷺ في موضع آخر: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا



خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾
[سورة يونس].

وقال ﷺ: «إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ
اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ ﴿٣٦﴾ [سورة التوبة].

ومن ذلك حدثا الخسوف والكسوف، فعندما تم اكتشاف
معادلتهم، استطعنا أن نحصل على كشوفات تتضمن تواريخ
وقوعهما بدقة... قديماً، قبل مئات السنين... وما سيقع منهما في
المستقبل القريب والبعيد.

كلُّ هذا يُرشدنا إلى أهمية تنظيمنا للوقت، وأن لا نكون
فوضويين في حياتنا، فالوجود مبني على النظام والدقة.

لا تجعل الظروف هي التي ترسم معالم نشاطك في يومك، بل
خَطِّطْ واسَّعْ أن تجعل يومك مُثمراً، فحُسن استثمارك لحياتك
هو رأس مالك في الآخرة.





سئلت: هل تكرار تلاوة السورة (الفلانية) ينجيني من عذاب القبر؟

الجواب: بغضّ النظر عن حقيقة عذاب القبر ومفهومه ومدياته، وهل هو من ضرورات الدين أم لا، لا بد من التنبيه إلى أمرين:

(١) ينبغي أن تكون علاقتنا بكتاب الله ﷻ أسمى وأعمق من قصّها في حدود تحقيق بعض المصالح الشخصية، كذاك

الذي يحصر علاقته بالقرآن الكريم في إطار التبرّك فحسب، أو للاستخارة فقط، أو لطرد العين والشياطين، أو لمجرّد حفظ النفس والأهل والممتلكات والأمن من الحوادث، وأمثال ذلك.

علاقتنا بالقرآن -في المرتبة الأولى- علاقة إيمانية وتربوية ومعرفية، ولذا فإنّ تلاوته والتدبر فيه يكون -أساساً- لتحقيق هذه الغايات الشريفة، وأما البركة وجلب الأمن والاستخارة وغير ذلك فأمورٌ تأتي تباعاً وفي مرتبةٍ لاحقة.

(٢) من الخطأ تصوّر أنّ تكرار تلاوة سورة معيّنة -لوحده- يدفع عن الإنسان العقابَ الأخروي، فهذا لا ينسجم مع ما جاء في القرآن الكريم من آيات تدعو إلى الندم، والتوبة إلى الله، وإصلاح ما أفسده الإنسان بمعصيته.

نعم، يمكن أن نقول إنّ هذه التلاوة جزءٌ من عملية التوبة والإصلاح، حين يتغيّر الإنسان -من خلال العمل بمضامينها- إلى الأفضل، وعندما يُعوّض -بهذه التلاوة- ما أضرّ من وقته وما أساء استغلاله من نعم الله عليه... وأما التلاوة لوحدها -ولو تكراراً- فلا تُلغي سائر شروط التوبة، ولا تدفع العقوبة الأخروية.



يضع بعض الشباب على مركباتهم عبارة: (لا أحد يحاسبني
-أو لا أحد يحكم علي- إلا الله) وهي مترجمة عن:

Only God can judge me

وهذه العبارة صحيحة من جهة، وخاطئة من جهات عدّة...
أما وجه الصحة فيها فيعود إلى ما له علاقة باليوم الآخر، فقد
قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [سورة
الغاشية]. فلن يحاسب الخلق يومئذ إلا الله، ولا يعرف حقيقة
الأعمال -في قيمتها ونواياها ودوافعها وسائر شؤونها- إلا الله.

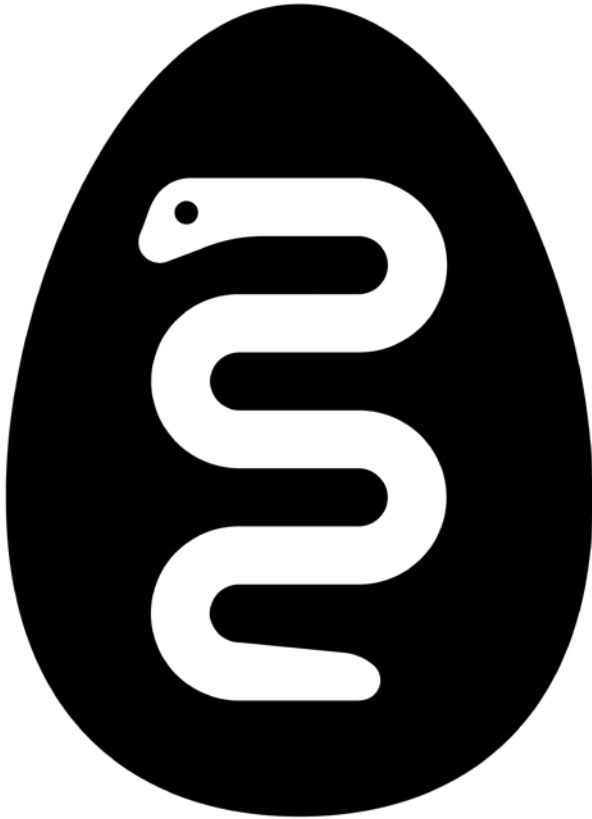


وأما خطأ العبارة فيعود إلى أمور، من بينها:

(١) الإنسان لا يعيش لوحده، بل في مجتمع، وللمجتمع قوانين تنتظم من خلالها الأمور، وتضبط إيقاع حركة الناس، وتحفظ لكل فرد فيه حقه، فإذا تعدّى أحدهم، لزمته محاسبته من قبل الجهات المختصة، وقد ينال عقاباً ما.

(٢) هناك التزامات شرعية تجاه الخالق، فإذا خالف جهاراً، كان من حق المجتمع أن يُقيّم فعله، فيؤمر بالمعروف ويُنهى عن المنكر، بالحكمة والموعظة الحسنة، وليس من حقه أن ينهاهم عن ذلك: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [سورة التوبة].

نعم، خلقنا الله مختارين، ولكنه جعل هذا الاختيار مسؤولية، تترتب عليها المحاسبة والثواب والعقاب، وهي بيد الله وحده في الآخرة، وأما في هذه الحياة، فهي -أيضاً- من حق المجتمع ومن مسؤولياته... فالحياة شراكة، وعلى كل شريك أن يدرك طبيعة هذه الشراكة ومقتضياتها.



قَيْضَ بَيْضَ



جاء في الخطبة ١٦٦ من نهج البلاغة: (وَلَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ: لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ، وَلَا عَنِ اللَّهِ يَعْقِلُونَ. كَقَيْضَ بَيْضَ فِي أَدَاخٍ، يَكُونُ كَسَرُهَا وَزُرًّا، وَيُخْرِجُ حِضَانَهَا شَرًّا).

يشبه الإمام عليه السلام جفاة الجاهلية بأنهم (كَقَيْضَ بَيْضَ) أي البيض المكسوّ بقشرته الخارجية اليابسة، فهو بيض تام ولم يخرج ما فيه، تجده (في أَدَاخٍ) أي في مكان التبييض الخاصة بالطيور والأفاعي والزواحف، كالأعشاش والجحور.

فعندما تجد هذا البيض وأنت لا تعلم هل هو بيض طائر أم

بيض أفعى سامّة، ستكون متردّداً بين المحافظة عليه وتستفيد منه لاحقاً، لاحتمال أنه بيض طائر، وبين كسره تخلصاً من شرّه، لاحتمال أنه بيض أفعى سامّة.

هكذا هو حال جفأة الجاهلية، لا تعلم هل سيكونون مصدر شرٍّ وضررٍ للبشرية، كما في قول النبي ﷺ: ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۖ﴾ [سورة نوح]، أم سيهتدون في يومٍ ما، ويكونون مصدر خير للبشرية، أو تنحدر منهم -على أقلّ تقدير- ذرية مؤمنة طيبة خيرة.

ثم يحذّر الإمام ﷺ المسلمين من أن يكونوا مثل جفأة الجاهلية، وليكن الخيرُ منهم ظاهراً واضحاً.

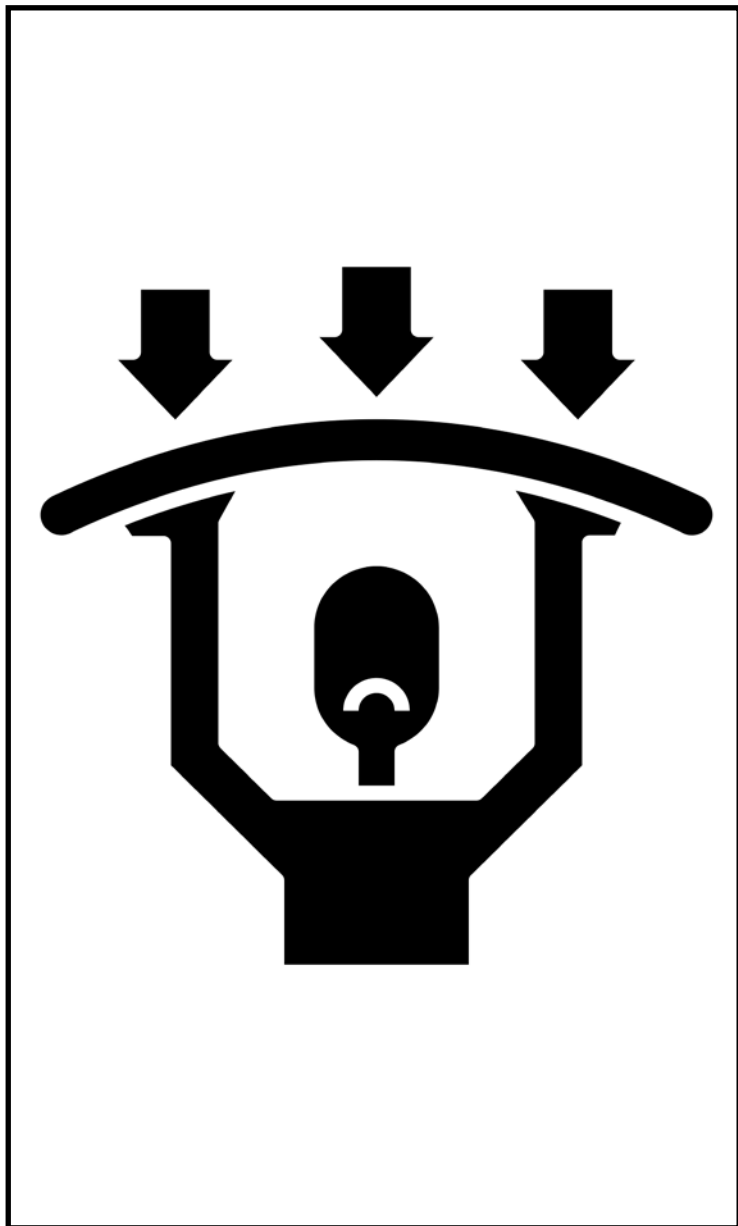
والسبيل لتحقيق ذلك هو التفقّه في الدين، والتدبّر في كتاب الله المجيد، والأخذ بما فيه من تشريعات وحكم ومواظب ووصايا وتزكية للنفس... ومن يُهمّل ذلك منهم، عرّض نفسه لأن يكون مثله كمثّل جفأة الجاهلية.

مرارة الحق



عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: (لما حَضَرَتْ أَبِي علي بن الحسين عليه السلام الوفاة، ضَمَنِي إِلَى صدرِهِ وقال: يَا بُنَيَّ، أوصيك بما أوصاني به أَبِي حين حَضَرَتْهُ الوفاة، وبما ذَكَرَ أَنَّ أَبَاهُ أوصاه به: يَا بُنَيَّ، اصْبِرْ عَلَى الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا).

قد يتعرَّض الإنسان لضغوطات متعدّدة، وإحراجات شديدة، وصعوبات متنوعة، بهدف دفعه للتنازل عن موقفه المُحَقِّ، أو المساندِ للحَقِّ، فيصبر ويمتنع... وهنا يشعر بمرارة الصبر على



الحق. ووصية الأئمة من عِترَةِ أهل البيت % كما هي وصية القرآن من قَبْل: (اصْبِرْ عَلَى الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا).

فقد يُستدعى الرجل ليشهد لصالح أحد أقربائه شهادة زور، فيمتنع عن ذلك، بل ويقول الحق الذي يصبّ في صالح الخصم، فيقع تحت طائلة التعنيف الاجتماعي، وحِراجة الموقف، ولكنه يصبر على ذلك، امثالاً لقوله ﷺ: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ... ٢٨٣﴾ [سورة البقرة].

وقد توضع الفتاة الملتزمة بلباسها وسلوكها الشرعي تحت ضغط قريناتها من خلال كل ما هو منتشر من صور السفور والتبرّج والتصرفات اللامسؤولة في إطار العلاقات بين الجنسين، فتشعر بضغط هوى النفس، وضغط الجو المحيط، وجو النظرات المستهزئة بها، فتعيش مرارة ذلك كله، ولكن الله ﷻ يقول لها إِنَّ هذه المرارة ستتحول إلى حلاوة لا مثيل لها إن صبرت: ﴿فَلَا تَعْلَمْ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٧﴾ [سورة السجدة]... فتصبر.

إن من يتحمّل مرارة الحق، سيذوق حلاوة راحة الضمير، وحلاوة رضوان الله، وحلاوة العطاء الأخروي الذي لا مثيل له.



المال الحرام



﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝ ١١٤﴾ [سورة النحل].

عندما يتم الحديث عن الأكل الحرام وآثاره الجسدية والنفسية، من قبيل ما ورد عن النبي ﷺ: (تَرَكُ لُقْمَةٍ حَرَامٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ صَلَاةِ أَلْفِي رَكْعَةٍ تَطَوُّعًا)، فَإِنَّ الذَّهْنَ يَنْصَرِفُ عَادَةً إِلَى مَا لَهُ عِلَاقَةٌ بِالْحَلَالِيَّةِ وَالْحَرَمَةِ مِنْ حَيْثُ النُّوعُ، كَالَّذِي فِي قَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا

أَهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١٧٣ ﴿ [سورة البقرة].

وهذا في حدّ ذاته سليم، ولكنّ للمسألة بعداً آخر يُغفل عنه
في العادة، وهو البُعد المتعلّق بالمصدر الماليّ للرزق الذي يجلبه
ربُّ الأسرة إلى بيته، سواء أكان طعاماً أم لباساً أم غير ذلك...

فقد يكون مصدرُ المال عمليّة نصب واحتيال، أو غشّاً في
البضاعة، أو ربا، أو معاملاتٍ باطلة، أو أرباح التجارة بأسهم
الشركات التي لا يجوز التداول بها، أو أكل مالِ العاملين تحت
يديه من المستضعفين والبسطاء الذين لا يملكون حيلة، ولو
بجرمانهم من قسمٍ من الأجرة المتَّفَقِ عليها تحت طائلة الضغط
والإكراه أو المساومة، فإما القبول بذلك وإما الحرمان من
الأجرة بأكملها، ... إلخ.

وقد يغفل البعض عن أنّ حرمةَ أكلِ المالِ بالباطل -أحياناً-
كما لو أكلَ مالَ اليتيم، أو المستضعف، أشدُّ من حرمةِ أكلِ
الميتةِ أو لحم الخنزير.



مِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْتَمْتَعُ بِتَتَبُعِ الْفَضَائِحِ، وَيَتَشَوَّقُ إِلَيْهَا، وَيَتَحَوَّلُ الْأَمْرُ عِنْدَهُ إِلَى حَالَةٍ مِنَ الْهَوَسِ... وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُبَالِي بِحُرْمَاتِ النَّاسِ وَسُمْعَتِهِمْ، إِذْ يَعْمَلُ عَلَى نَشْرِ مَا يَبْلُغُهُ عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَتَأَكَّدْ مِنْ صَحْتِهِ. وَلِلْإِسْلَامِ مَوْقِفٌ وَاضِحٌ وَشَدِيدٌ تَجَاهَ حُرْمَاتِ النَّاسِ، وَالْمَنْعِ مِنْ تَتَبُعِ عَثَرَاتِهِمْ وَعَيُوبِهِمْ، وَمِنْ كَشْفِهَا وَنَشْرِهَا.

الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام إِذَا رَأَى مُبْتَلًى بِذَنْبٍ وَقَدْ افْتُضِحَ أَمْرُهُ، كَانَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى سِتْرِكَ بَعْدَ



عِلْمِكَ، وَمُعَافَاتِكَ بَعْدَ خُبْرِكَ). هكذا يجب أن تكون رَدَّةُ فعل الإنسان المؤمن عندما يَظْلَعُ على مثل ذلك، حيث يُحوِّل الأمر إلى موقفٍ للعِظة والاعتبار، لا أن ينطلق منه للتشهير والتعير.

ثم يصدمننا الإمام بالحقيقة المرة التي لربّما نحاول تجاهلها وتناسيها حيث يقول: (فَكُنَّا قَدْ افْتَرَفَ الْعَايَةَ فَلَمْ تَشْهَرْهُ) فالفرق الآن بيننا وبين صاحب الفضيحة هو انتشار الخبر وستره (وَارْتَكَبَ الْفَاحِشَةَ فَلَمْ تَفْضَحْهُ، وَتَسْتَرَّ بِالْمَسَاوِي فَلَمْ تَذَلِّ عَلَيْهِ)... إذاً، فالأمر بيد الله، والله قدير على أن يفضحنا، فالحذر الحذر! (فَاجْعَلْ مَا سَتَرْتَ مِنَ الْعَوْرَةِ، وَأَخْفَيْتَ مِنَ الدَّخِيلَةِ:

• وَاعِظْنَا لَنَا •

• وَزَاجِرًا عَنِ سُوءِ الْخُلُقِ وَاقْتِرَافِ الْخَطِيئَةِ •

• وَسَعِيًّا إِلَى التَّوْبَةِ الْمَاحِيَةِ وَالطَّرِيقِ الْمَحْمُودَةِ •

• وَقَرِّبِ الْوَقْتَ فِيهِ... إذ قد يأتينا الموت فجأة قبل أن نتوب •

• وَلَا تَسْمُنَا الْعُفْلَةَ عَنْكَ... فنكون من الذاكرين لله كثيراً •

• إِنَّا إِلَيْكَ رَاغِبُونَ، وَمِنَ الذُّنُوبِ تَائِبُونَ).



اتَّبِعُوا ابْنَ أَخِي



روى القرطبي في تفسيره: (إِنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا قِيلَ لَهُ: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٩٠، قَالَ: اتَّبِعُوا ابْنَ أَخِي، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ).

من رسائل هذه الآية الشريفة، الدعوة لتقييم الناس في التزامهم الديني تقييماً سليماً، فالمسألة ليست مسألة لحية طويلة، ولا

جبهة سوداء، ولا خاتم ومسباح، فهذه من الكمالات... ولا حتى مجرد الصلاة والحج والصيام، فهي وإن كانت واجبات، ولكنها ليست المعيار الكامل للتقييم.

فعلاوة على تلك العناوين، قَيِّمُوا -المتدينين- أيضاً من خلال سلوكياتهم على مستوى الأخلاق العملية، العدل... الإحسان... إيتاء ذي القربى... ترك الفحشاء... ترك المنكر... ترك البغي على الناس... فهذه العناوين من أهم ركائز الأخلاق العملية في المنظور الإسلامي.

وهذا ما فهمه أبو طالب في ردّه على المشركين الذين لربّما استغربوا من مضمون الآية، حيث تساءلوا -ضمناً- عن علاقة هذه السلوكيات بالدين، وعن مدى مصداقية علاقة الرسالة الإسلامية بهذه العناوين، فالدين -في تصورهم- مُعتَقَد وظواهر عبادية وقرايين... وأما أبوطالب فقد أخبرهم أنّ الدين أعمق من ذلك، وأنّ محاسن الأخلاق من ركائز الدين وأساسه.

عن النبي ﷺ: (لا تَنْظُرُوا إِلَى كَثْرَةِ صَلَاتِهِمْ وَصَوْمِهِمْ وَكَثْرَةِ الْحَجِّ وَالْمَعْرُوفِ وَظَنَنْتِهِمْ بِاللَّيْلِ، وَلَكِنْ انْظُرُوا إِلَى صِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ).

المسافة الآمنة



عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: (أَحَبُّ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغَضُ بَغِيضِكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا) [نهج البلاغة: الحكمة ٢٦٨].

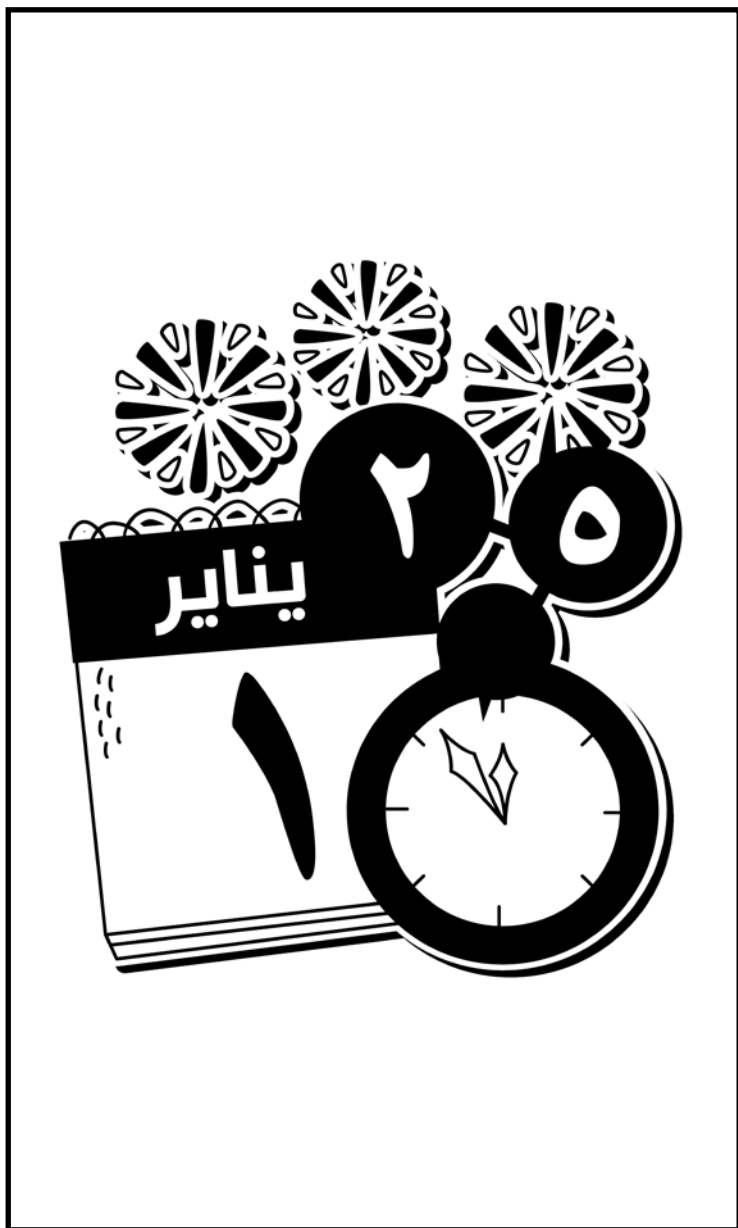
عندما تقود مركبتك، تُنصح بأن تجعل بينك وبين المركبة التي أمامك مسافة، تُسمى (المسافة الآمنة)، ووظيفتها تقليل احتمالات وقوع حادث تصادم بين مركبتك وبين التي أمامك. وكلما ازدادت سرعة المركبة، ينبغي زيادة المسافة.



ونحتاج -في العلاقات الاجتماعية- إلى مراعاة ما يشبه هذه المسافة، لا أقصد بذلك المسافة المكانية، بل المسافة الاعتبارية. وهو ما أشار إليه الإمام عليه السلام في الحكمة السابقة.

قد تكون بينك وبين شخص ما علاقة صداقة قوية، إلا أن هذا لا يعني أن تُطلعه على جميع أسراركَ فتكون مكشوفاً له تماماً... كما أن هذا لا يعني أن تندفع في هذه العلاقة من دون أن تضع لنفسك خطّ رجعة، فأنت لا تضمن أن تبقى العلاقة الإيجابية بينكما قائمة على الدوام، وأن لا يتحوّل هو من موقع الصديق إلى موقع العدو، أو من موقع المُحبّ إلى موقع المبغض، ليقوم عندها -لسبب أو لآخر- بكشف أسراركَ وسلبياتك.

ومن جهة أخرى، فإن العلاقة المندفعة التي لا تمتلك فيها المسافة الآمنة قد تعرّضك للصدمة -في يوم ما- وبشكل كبير، وذلك في ما لو خسرت هذا الصديق، فتصاب بصدمة عاطفية نفسية شديدة، قد تجعلك تتعقّد من أمر الصداقات والعلاقات الاجتماعية... وهذا خطأ فادح، والوقاية منه كما في الحكمة العلوية بأن تجعل العلاقة في إطار ما عبّر عنه الإمام عليه السلام بعنوان: (هُوناً ما).





عامٌ مضى، وعامٌ جديد قادم... فما الذي تتمناه في هذا العام الجديد؟

الطالب يتمنى النجاح أو التفوّق في دراسته... والموظف يتمنى الترقية وزيادة الراتب... والفقير يتمنى أن يُنعم الله عليه بشيء من المال لتغيير أوضاعه المالية إلى الأفضل... والمريض يتمنى الشفاء العاجل، وأن تنتهي معاناته مع المرض... والمهجّر يتمنى العودة إلى الديار... وكلها أمنيات مشروعة.

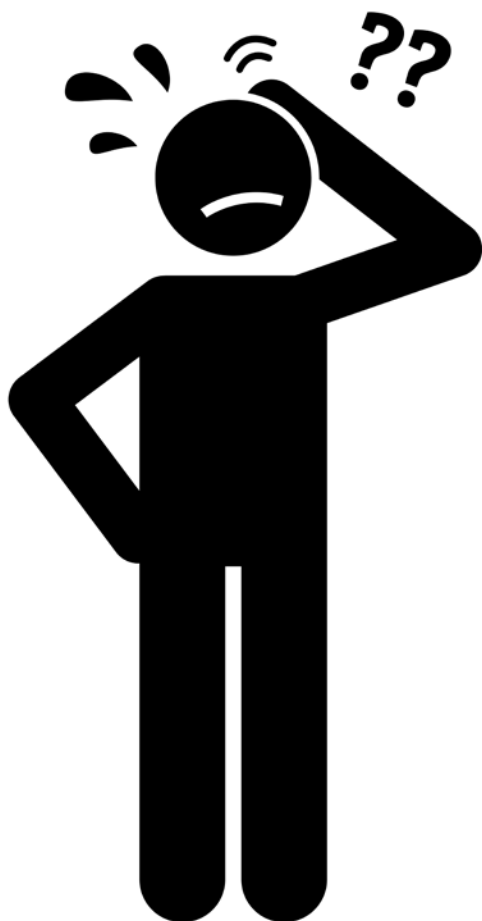
ولكن للإمام زين العابدين عليه السلام توجيه خاص في هذا المجال، وذلك في الدعاء السادس من أدعية الصحيفة السجادية، والذي جاء بعنوان (وكان من دعائه عند الصباح والمساء) حيث قال -والدعاء في جانب منه يتكلم على قدوم يوم جديد- بينما سأقوم باستبدال كلمة [يوم] بكلمة [عام]، وكلمة [ساعة] بكلمة [يوم] مع الاختصار: (وَهَذَا [عَامٌ] حَادِثٌ جَدِيدٌ، وَهُوَ عَلَيْنَا شَاهِدٌ عَتِيدٌ، إِنَّ أَحْسَنَّا وَدَعْنَا بِحَمْدٍ، وَإِنْ أَسْأَنَّا فَارْقَنَا بِذَمٍّ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْزُقْنَا حُسْنَ مُصَاحَبَتِهِ، وَاعْصِمْنَا مِنْ سُوءِ مُفَارَقَتِهِ بِارْتِكَابِ جَرِيرَةٍ، أَوْ اقْتِرَافِ صَغِيرَةٍ أَوْ كَبِيرَةٍ. وَأَجْزِلْ لَنَا فِيهِ مِنَ الْحَسَنَاتِ، وَأَخْلِنَا فِيهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا فِي كُلِّ [يَوْمٍ] مِنْ [أَيَّامِهِ] حَظًّا مِنْ عِبَادَتِكَ، وَنَصِيبًا مِنْ شُكْرِكَ، وَاحْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَعَنْ شَمَائِلِنَا. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَوَقِّفْنَا فِي [عَامِنَا] هَذَا لَا سِتِّعْمَالِ الْخَيْرِ، وَهَجْرَانِ الشَّرِّ، وَشُكْرِ التَّعَمُّ، وَاتِّبَاعِ السُّنَنِ، وَمُجَابَبَةِ الْبِدْعِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالتَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَارْشَادِ الضَّالِّ، وَمُعَاوَنَةِ الضَّعِيفِ، وَإِذْرَاكِ الْلَّهِيفِ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْهُ أَيْمَنَ [عَامٍ] عَهْدِنَا، وَأَفْضَلَ صَاحِبِ صَحْبِنَا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ).

خيرة وردّ عطاها



الخيرة أو الاستخارة: رجوع إلى الله ﷻ والتوكّل عليه، والطلب منه، أن يرشدنا ويوفّقنا لما هو خير.

هذا الخير الذي نطلبه من الله ﷻ قد لا يكون متوافقاً مع هواننا وما نريد، ولذا يُفترض أن ننوي عند الاستخارة أننا نطلب التسديد الإلهي، والاختيار الإلهي، سواء أكان هذا الخير متوافقاً مع رغباتنا، أو كان على خلاف ذلك، لأننا أحياناً نريد لأنفسنا -وبشدة- أمراً، ونعتقد أنه في صالحنا، بينما هو



في الواقع على خلاف ذلك: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٢١٦﴾ [سورة البقرة].

هذا الأمر نجده واضحاً في دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجادية تحت عنوان (وكان من دعائه عليه السلام في الاستخارة)، حيث قال: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَفِضْ لِي بِالْخَيْرَةِ، وَأَلْهِمْنَا مَعْرِفَةَ الْاِخْتِيَارِ، وَاجْعَلْ ذَلِكَ ذُرِيَةً إِلَى الرِّضَا بِمَا قَضَيْتَ لَنَا، وَالتَّسْلِيمِ لِمَا حَكَمْتَ، فَأَرْخِ عَنَّا رَبِّبَ الْأَرْتِيَابِ، وَأَيِّدْنَا بِيَقِينِ الْمُخْلِصِينَ، وَلَا تَسْمُنَا عَجْزَ الْمَعْرِفَةِ عَمَّا تَخَيَّرْتَ، فَتَنْعِيطَ قُدْرَكَ، وَنَكْرَةَ مَوْضِعِ رِضَاكَ، وَتَجَنَّحَ إِلَى الَّتِي هِيَ أَبْعَدُ مِنْ حُسْنِ الْعَاقِبَةِ، وَأَقْرَبُ إِلَى ضِدِّ الْعَاقِبَةِ).

في المقطع السابق تركيز واضح على ضرورة التسليم لما يختاره الله لنا، وعدم التشكيك فيه، ولذا لا محلّ لأن يسأل المستخير: [هل من الواجب أن ألتزم بنتيجة الاستخارة؟]، فهو وإن لم يكن مأثوماً بالمخالفة، إلا أنّ ذلك من إساءة الأدب تجاه المستخار، وعلى المخالف أن يتحمّل -بعد ذلك- نتيجة مخالفته.





﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ
بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ٢٥﴾
[سورة العنكبوت].

جاءت هذه الآية على لسان النبي إبراهيم ﷺ وهو يخاطب
قومه... فما معنى ﴿اتَّخَذْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾؟

الآية تشير إلى دور العاطفة في تبني الإنسان لعقيدة ما أو موقف ما دون أن يمتلك قناعة كافية ودليلاً مُحكماً على صحّة هذه العقيدة، أو سلامة هذا الموقف.

النبي إبراهيم ﷺ ينّبه قومَه إلى أنّ شركَهم ليس قائماً على قناعةٍ فكريّةٍ وحُجّةٍ عقليّةٍ، بل ينطلق من علاقات المؤدّة القائمة بين أبناء قومِه، وذلك من خلال عناوين القرابة أو الصداقة أو التعصب للقومية.

وقد أفصح قوم إبراهيم عن هذا الخلل حيث: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ٥٣﴾ [سورة الأنبياء]، وفي قوله ﷺ: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ٧٤﴾ [سورة الشعراء].

ويمكن أن نجد هذا الخلل حاضراً اليوم في مواقف الناس وقراراتهم... وذلك عندما يجد أحدهم -وبشكل واضح- أنّ أمراً ما يخالف لحكم الشرع، أو غير عادل، أو أنه باطل، أو مُضّر، ومع هذا، يُصرّ على التمسك به لمجرد أنه من التراث، أو من قوانين القبيلة، أو من العادات والتقاليد الموروثة، وأمثال ذلك! لماذا؟ لأن العاطفة فقط هي الحاكمة لديه، دون الشرع، والقانون، والعقل، والأخلاق، والضمير.



شاهدتُ ذات مرة فيلماً وثائقياً عن تشدّد اليهود في غَسْل أوراق الخس، وبشكل مبالغ فيه، والغاية من ذلك ضمان أن لا يأكلوا -دون قصد- حشرة صغيرة قد تكون محشورة بين طياتها... فالتوراة -بحسبهم- تُحرّم أكل الحشرات.

المفارقة في الأمر أن الكثير من [الإسرائيليين اليهود] لو سنحت لهم الفرصة لقتل فلسطيني، مسلم أو مسيحي، صغير أو كبير، فلن يتردّدوا في ذلك، بل وبأبشع الصور، وما يحدث اليوم في فلسطين خير شاهد على ذلك... فأَيّ تديّن هذا؟



جزء من الخلل السلوكي هذا يعود إلى المفاهيم المغلوطة، وجزء آخر منه يعود إلى ظاهرة التدين القشري، بمعنى الالتزام الشديد والشكلي بالأحكام الفرعية، بمعزل عن غاياتها في تهذيب الإنسان وإصلاحه.

لَمَّا احتجَّ بعض اليهود المتدينين على حواربي المسيح ﷺ لأنهم أكلوا قبل غسل أيديهم، فلعلَّ شيئاً مما يحرم أكله يدخل أفواههم، بيّن لهم المسيح المفارقة، وهي أنَّ التقوى تغيب عنهم في ما يتفوّهون به... غيبة وبهتان ونميمة وكذب وغش وتحريض، بينما تحضر التقوى في أشد صورها في مسألة فرعية احتياطية.

المسلمون -اليوم- مُبتَلون بذلك أيضاً... القرآن يؤكّد على أن غاية الصلاة هي النهي عن الفحشاء والمنكر، وأن غاية الصيام ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾، ولكن ما أكثر المصلّين والصائمين دون أن يرتفع عندهم منسوب التقوى في علاقتهم بالله، وفي علاقتهم بالناس، وفي علاقتهم بمحيط عملهم... إلخ.

يُروى أن أحد المُحرّمين سأل ابن عباس -أو ابن عمر- عن حُكم قتل ذبابةٍ حال الإحرام، فقال له: (تسألني عن ذلك وقد قتلتم الحسين ولم تُبالوا؟!).



آداب المرور



بمناسبة أسبوع المرور الخليجي، نتوقّف مع عدد من الآيات القرآنية التي يمكن أن نستلهم منها بعضاً من القوانين والآداب الخاصة باستعمال الطريق:

١. الالتزام بالسرعة المقرّرة أو المقبولة: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا.... ٦٣﴾ [سورة الفرقان]. ومن المعلوم أن الحوادث الناجمة عن تجاوز حدّ السرعة تؤدي إلى حالات

كثيرة من الوفيات والإصابات البليغة والإعاقات الجسيمة. وفي سنة ٢٠٢٤م فقط، بلغت مخالفات تجاوز السرعة المقررة في الكويت ١,٩٢٦,٣٢٠ مخالفة، وهي الأكثر شيوعاً مقارنة بسائر المخالفات.

٢. عدم مقابلة الإساءة بإساءة: ﴿... وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ٦٣﴾ [سورة الفرقان]، فقد يُسئ إليك قائد مركبة عند استعمال مركبته في الطريق... النصيحة القرآنية هي أن تتجاوز عن سيئته... لا تلاحقه لتردّ على إساءته... ولا تكرر خطئه رداً للاعتبار، وهذا من مصاديق الردّ على جهله بالسلام.

٣. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ١١﴾ [سورة المجادلة].

قد تكون لك الأولوية في الطريق، مع التزامك بالسرعة القصوى المقررة، بينما تقترب منك مركبة أخرى من الخلف متجاوزة السرعة ويطلب منك قائدها أن تُفسح له الطريق... تصرفه هذا وإن كان مخالفاً للقانون، ولكن القانون -من جهة- يُلزمك بإفساح المجال له، والآية الشريفة -من جهة أخرى- توصي بذلك.

على باب العطار



طول عمر الإنسان ليس أمراً حسناً على الدوام، فقد يكون ذلك وبالأعلى عليه، وفي دعاء مكارم الأخلاق في الصحيفة السجادية: (وَعَمَّرْنِي مَا كَانَ عُمْرِي بِذِلَّةٍ فِي طَاعَتِكَ، فَإِذَا كَانَ عُمْرِي مَرْتَعاً لِلشَّيْطَانِ، فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ مَقْتُكَ إِلَيَّ أَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ). كما وقد يكون طول العمر مصحوباً بالمرض والفقر والألم والحزن، فما قيمة طول العمر حينئذ؟ ولذا، عندما ندعو لأحد بطول العمر، فليكن ذلك مصحوباً بالدعاء بالسلامة في الدين، والنفس، والعقل.



وقد يغيّر الإنسان من ظاهر حاله، فيبدو أصغر من عُمره
بكثير، وصدق الشاعر إذ قال:

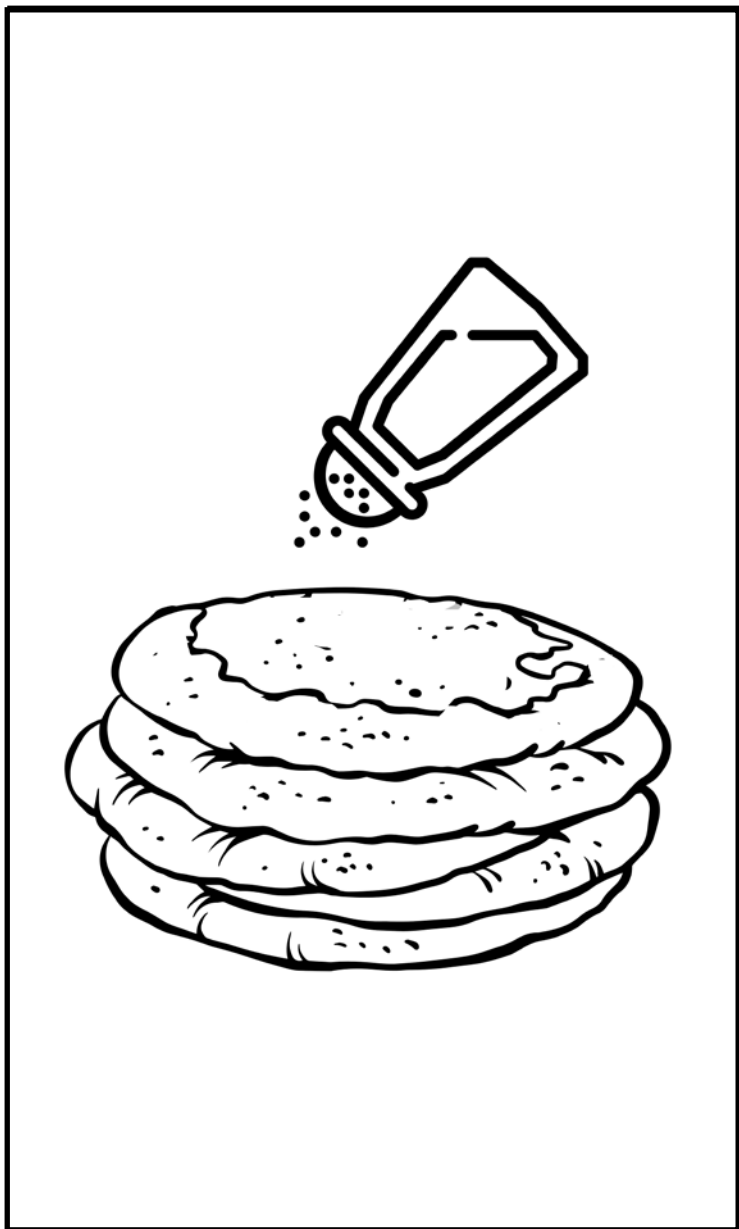
عَجُوزٌ تُرَجِّي أَنْ تَكُونَ فَتِيَّةً

وَقَدْ نَحَلَ الْجَنَّبَانِ وَاحِدَوَدَبَ الظَّهْرُ

تَدُسُّ إِلَى الْعِطَارِ مِيرَةَ أَهْلِهَا

وَهَلْ يُصْلِحُ الْعِطَارُ مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ؟

هكذا كان تأثير العِطارة بموادّها البسيطة، فكيف بخُفْنِ
النضارة، وعمليات التجميل التي باتت تُحدث فرقاً كبيراً بين
ما هو قبل وما هو بعد... ولكن مع هذا تبقى هناك حقيقة
لا تُنكر، وهي أنّ تغيير هذا الظاهر لن يكون عاملاً لتأخير
موعد أجل الإنسان، ومن أراد ذلك، فعليه ببرّ الوالدين، وصلة
الرحم، والصدقة، والصور العديدة للإحسان، وتجنّب الإصرار
على معصية الله ﷻ، لاسيما تلك التي [تقصف] عُمر الإنسان،
كالعقوق، وقطع الرحم، واليمين الفاجرة، والزنا، وأمثالها، وعن
الإمام الصادق عليه السلام: (يَعِيشُ النَّاسُ بِإِحْسَانِهِمْ أَكْثَرَ مِمَّا يَعْيشُونَ
بِأَعْمَارِهِمْ، وَيَمُوتُونَ بِذُنُوبِهِمْ أَكْثَرَ مِمَّا يَمُوتُونَ بِأَجَالِهِمْ).



خبز وملح



في الخبر عن مُعَلَّى بن خُنَيْس أن الإمام الصادق عليه السلام خرج (في ليلةٍ قد رَشَّت السماء) عاملان يثبَّطان عن الخروج من المنزل في ذلك الزمان، الليل حيث الظلام والجنوح إلى الراحة، والمطر الذي يُربك حركة التنقّل (وهو يريد ظِلَّة) سقيفة (بني ساعدة، فاتَّبَعْتُهُ، فإذا هو قد سقط منه شيء، فقال: بسم الله اللهم رَدِّه علينا. قال: فَاتَيْتُهُ فَسَلَّمْتُ عليه فقال: مُعَلَّى؟ قلت: نعم جُعِلَتْ فداك، فقال لي: التمس بيدك) الظلام والمطر عاملان يستدعيان عدم وضوح الرؤية (فما وجدت من شيء فادفعه

إليّ، قال: فإذا أنا بخُبزٍ منتشرٍ، فجعلتُ أدفعُ إليه ما وجدت، فإذا أنا بجرابٍ من خُبزٍ، فقلت: جُعلت فداك، احمّله عليّ عنك. فقال: لا، أنا أولى به منك) تواضع منه ﷺ ورغبة في عدم فقدان شيء من قيمة العمل الخالص لوجه الله (ولكن امض معي. قال: فأتينا ظِلَّةَ بني ساعدة، فإذا نحن بقوم نيام، فجعل يدسّ الرغيف والرغيفين تحت ثوب كلّ واحد منهم حتى أتى على آخرهم، ثم انصرفنا) وهذا عامل ثالث مثبّط -في مقاييسنا- لأن لسقيفة بني ساعدة ذكريات سلبية عند أهل البيت، لأنه الموضع الذي شهد إبراهيم أمر الخلافة لغير علي ﷺ إلا أن هذا لم يمنع الصادق من أن يقوم بما قام به إكراماً لزائري المدينة المنورة، وتصدّقاً على المحتاجين (فقلت: جعلت فداك، يعرف هؤلاء الحق؟ فقال: لو عرفوا لواسيناهم بالدُّقّة) أي لو كانوا كذلك لأكرمناهم إكراماً خاصاً لصبرهم وثباتهم وتحملهم ما يأتيهم بسبب انتمائهم لمدرسة أهل البيت ٪ في ذلك الزمان.

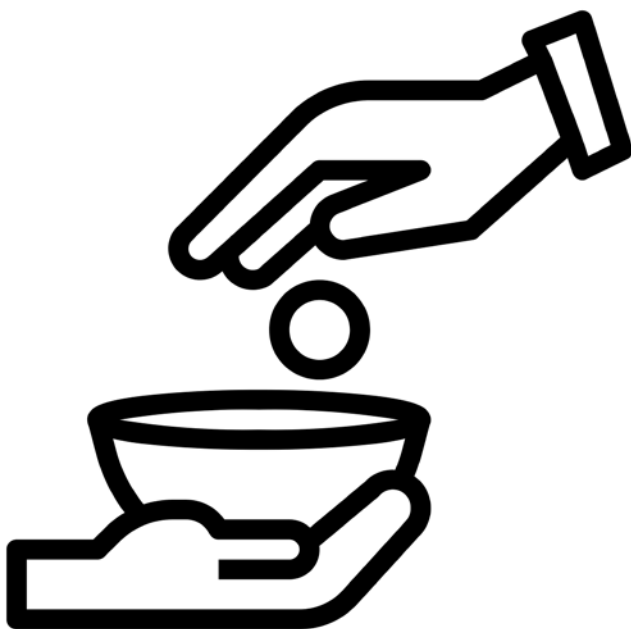
[الدُّقّة: التوابل، أو الملح وما خُلط به من التوابل، أو الملح المدقوق وحده].



عن مسمع بن عبد الملك قال: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام بمِنَى،
وبين أيدينا عنب نأكله، فجاء سائلٌ فسأله... طلب منه صدقة.

فأمر بعنقود فأعطاه، فقال السائل: لا حاجة لي في هذا، إن
كان درهم. قال: يسعُ الله عليك. فذهب، ثم رجع فقال: ردّوا
العنقود فقال: يسع الله لك. ولم يُعْطِه شيئاً.

ثم جاء سائلٌ آخر، فأخذ أبو عبد الله عليه السلام ثلاث حبات عنب
فناولها إياه، فأخذها السائل من يده ثم قال: الحمد لله رب
العالمين الذي رزقني.



فقال أبو عبد الله ﷺ: مكانك! فحشا ملء كفيه عنباً، فناولها إياه، فأخذها السائل من يده، ثم قال: الحمد لله رب العالمين الذي رزقني.

فقال أبو عبد الله ﷺ: مكانك! يا غلام، أي شيء معك من الدراهم؟ فإذا معه نحو من عشرين درهماً فيما حزرناه، أو نحوها، فناولها إياه، فأخذها، ثم قال: الحمد لله. هذا منك وحدك لا شريك لك.

فقال أبو عبد الله ﷺ: مكانك! فخلع قميصاً كان عليه، فقال: البس هذا، فلبسه، فقال: الحمد لله الذي كساني وسترتني يا أبا عبد الله... أو قال: جزاك الله خيراً.

لم يدع لأبي عبد الله ﷺ إلا بذا، ثم انصرف، فذهب. قال: فظننا أنه لو لم يدع له، لم يزل يعطيه، لأنه كلما كان يعطيه، حمد الله، أعطاه.

[طرّار ويتشرّط] مثل في اللهجة الكويتية يُطلق على مَنْ يستجدي العطاء ومع هذا يضع شروطاً لما يطلب. وأما [الطرّار] في اللغة فهو النّشال الذي يشقّ الجيوب والهمايين ويستلّ ما فيها.





من حِكم أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهج البلاغة - برقم ٨٨ -
أنه قال: (إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ، فَابْتَغُوا لَهَا
طَرَائِفَ الْحِكْمِ).

ومن طرائف الحِكم المروية عن عبدالمطلب جدّ النبي صلى الله عليه وآله
ما رواه الريان بن الصلت قال: أنشدني الرضا عليه السلام لعبد المطلب:

يَعِيبُ النَّاسُ كُلُّهُمْ زَمَانًا وَمَا لَزَمَانِنَا عَيْبٌ سَوَانَا

فالزمان ظرف يعطينا الفرصة لنقدّم شيئاً في حياتنا، خيراً أو شراً، والقرار بأيدينا.

نُعِيبُ زَمَانَنَا وَالْعَيْبُ فِينَا وَلَوْ نَطَقَ الزَّمَانُ بِنَا هَجَانَا
أَيُّ لَوْ كَانَ لِلزَّمَانِ لِسَانٌ نَاطِقٌ لَفَضَحَ النَّاسُ بِذِكْرِ مَسَاوِيهِمْ
وَأَعْمَالِهِمُ الْقَبِيحَةِ.

وَإِنَّ الذَّنْبَ يَتْرُكُ لَحْمَ ذَنْبٍ وَيَأْكُلُ بَعْضُنَا بَعْضًا عَيَانًا
لَيْسَنَا لِلخَدَاعِ مُسَوِّكٌ طَيِّبٍ فَوَيْلٌ لِلْغَرِيبِ إِذَا أَتَانَا
الْمَسْكُ هُوَ الْجِلْدُ، أَوْ خُصُوصَ جِلْدِ السَّخْلَةِ، وَجَمْعُهُ [مُسَوِّكٌ].
عبدالمطلب - في هذه الآيات المروية عنه - يصف نموذج
المخادعين المتظاهرين بصورة تخالف تماماً الصورة الحقيقية
والقبيحة لباطنهم.

وما أكثر المخادعين في مجتمعاتنا الذين يُظهرون أنفسهم في
صورة بريئة، كظاهر السخلة، لبلوغ غاية خسيسة ما، وهم في
داخلهم أسوأ من الذئب، لأن الذئب لا تَأْكُلُ بعضها بعضاً، وأما
الإنسان الذي لا دين له، ولا أخلاق، ولا شرف، فلا يبالي بذلك،
لأن الأهمّ عنده أن يبلغ غاياته الدنيئة بأيّ ثمنٍ كان.

بين الباقر وعطاء

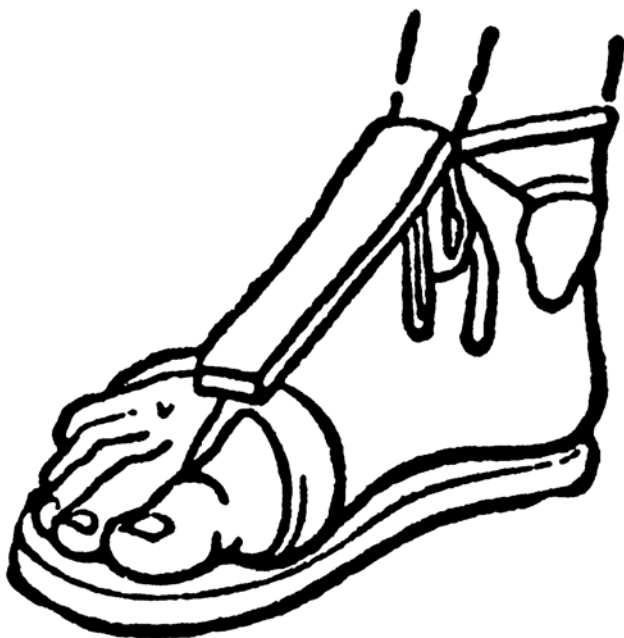


يسألني البعض عن الموقف من صلة الرحم عندما نشهد في أثناء ذلك بعض التصرفات غير الشرعية من بعض الحضور، فهل يبرّر لي ذلك قطع العلاقة مع هذا الرحم؟ الرواية التالية تُقدّم لنا فكرة عن الموقف السليم في مثل هذه الحالات، وفوائد فرعية أخرى.

روى الكليني بالسند عن زرارة قال: (حضر أبو جعفر عليه السلام جنازة رجلٍ من قريش، وأنا معه، وكان فيها عطاء) بن أبي رباح، لُقّب بشيخ الإسلام، مفتي الحرم، وكان بنو أمية يعظّمونه



جداً (فصرخت صارخة، فقال عطاء: لتسكّنين أو لنرجعن.
قال: فلم تسكت، فرجع عطاء. قال: فقلت لأبي جعفر عليه السلام:
إن عطاء قد رجع) وكأنه يحث الإمام على الرجوع فقد رجع
مفتي مكة بدافع ديني (قال: ولم؟ قلت صرخت هذه الصارخة
فقال لها: لتسكّنين أو لنرجعن. فلم تسكت، فرجع. فقال:
امضي بنا، فلو أنا إذا رأينا شيئاً من الباطل مع الحق تركنا له
الحق) أي تركنا الحق من أجله (لم نقض حقّ مسلم) فمن حقّ
المسلم -أيّاً كان مذهبه- أن نشيّعه، فإذا حصل تجاوز شرعي
من قبل أحد فإنّ هذا ليس بمبرّر لترك ذلك الحق (قال: فلما
صلى على الجنازة قال وليّها) وليّ الجنازة (لأبي جعفر: ارجع
مأجوراً رحمك الله) لا حاجة لإكمال السير والبقاء إلى حين
الدفن (فإنك لا تقوى على المشي) قال العلامة الحلي: لأنه كان
بادناً (فأبى أن يرجع، قال: فقلت له: قد أذن لك في الرجوع،
ولي حاجة أريد أن أسألك عنها) محاولة من زرارة أن يعطي
مبرراً آخر للإمام كي يرجع (فقال: امضي) نُكمل (فليس بإذنه
جنناً، ولا بإذنه نرجع، إنما هو فضلٌ وأجرٌ طلبناه، فبقدر ما
يتبعُ الجنازة الرجلُ يُؤجّر على ذلك) ولذا قرّر الإمام أن يُكمل
التشييع، ويشهد الدفن، كي ينال كامل الأجر.





في الكافي بالسند عن يعقوب السراج - وكان من أهل الكوفة،
 عدّه الشيخ المفيد من خاصة الإمام وبطانته وثقاته الفقهاء
 الصالحين - قال: (كنا نمشي مع أبي عبد الله ﷺ وهو يريد أن
 يعزّي ذا قرابة له بمولود له، فانقطع شِسْع نعل أبي عبد الله
 سَيْرٌ يُمْسِكُ التَّعْلَ بِأَصَابِعِ الْقَدَمِ (فتناول نعلَه من رجله، ثم
 مشى حافياً، فنظر إليه ابنُ أبي يعفور) عبد الله بن أبي يعفور

الكوفي العبدى، كان من القُرَّاء في مسجد الكوفة ومن الأجلَّاء وخواص الإمام الصادق، وعدّه الشيخ المفيد من الفقهاء الأعلام الذين لا يُطَعَن عليهم، وقد مَدَح الذهبي أبوه [واقِد أو وقدان] في كتابه [سِيَر أعلام النبلاء]، وعدّه من ثقات التابعين، وممن أخذ العلم من الصحابة وفقهاء أهل السنة (فخلع نَعْلَ نَفْسِهِ مِنْ رِجْلِهِ، وَخَلَعَ الشَّسْعَ مِنْهَا وَنَاوَلَهَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ كَهَيْئَةِ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ أَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ، وَقَالَ: لَا، إِنَّ صَاحِبَ الْمَصِيبَةِ أَوْلَى بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا، فَمَشَى حَافِياً حَتَّى دَخَلَ عَلَى الرَّجُلِ الَّذِي أَتَاهُ لِيَعْرِضَهُ).

بمثل هذا التواضع تصرّف الإمام الصادق ﷺ بكلّ تلقائية في موقفٍ فيه من الإحراج والأذى ما فيه، ولم يوظّف مكانته ومقامه الرفيع عند مرافقيه لِيُجَنَّبَ نَفْسَهُ عِناء الموقف والأذى، ثم قدّم لهم قاعدةً أخلاقية قابلة للتطبيق في مثل هذه المواقف، وخلاصتها أنّ: (صَاحِبَ الْمَصِيبَةِ أَوْلَى بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا)، كما ولم يُطْلِق لسانه لِلْعِنِ السَّاعَةِ التي خرج فيها للتعزية - كما يفعل البعض - والنعل وصانعها إذ لم تُسَعْفَ في هذا الموقف، وأوقعته في هذا الوضع المحرج.

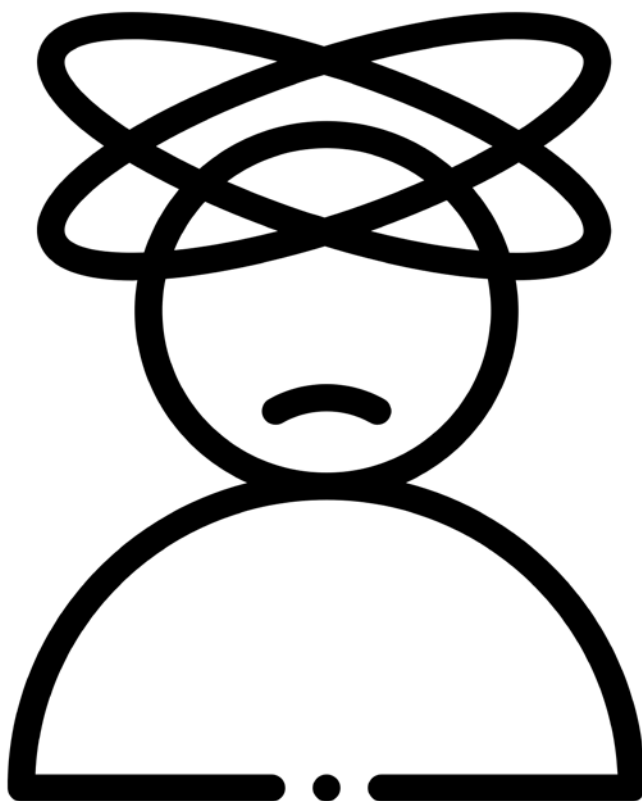
٢٨

صرتُ منافقاً



تتوالى أحياناً بعض الأفكار السلبية، أو السيئة، أو القبيحة بحق الذات الإلهية، وخاصة في أذهان الشباب، فتهتز لذلك أنفسهم، ويشعرون بانزعاج كبير، ويفقدون الثقة في إيمانهم... فكيف نوجههم إن شكوا من ذلك؟

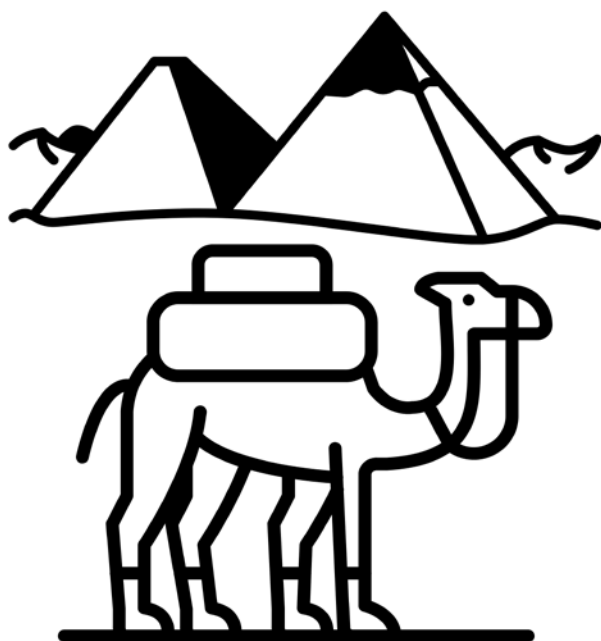
في الكافي بالسند عن ابن مهزيار: (كتب رجل إلى أبي جعفر) الإمام محمد الجواد عليه السلام (يشكو إليه لَمَّا يخطر على باله) أفكار تطرقه من حين إلى آخر (فأجابه في بعض كلامه: إن الله تعالى إن شاء ثبَّتَكَ فلا يجعل لإبليس عليك طريقاً، قد شكى قوم إلى



النبي ﷺ لَمَّا يَعْرُضْ لَهُمْ، لئن تهوي بهم الريح أو يُقَطَّعُوا أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمُوا بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَتَجِدُونَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ ذَلِكَ لَصَرِيحُ الْإِيمَانِ، فَإِذَا وَجَدْتُمُوهُ فَقُولُوا: آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ).

وفي رواية أخرى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِصَاحِبِ الشَّكْوَى: (وَاللَّهِ مَا نَافَقْتَ، وَلَوْ نَافَقْتَ مَا أَتَيْتَنِي، تُعَلِّمُنِي مَا الَّذِي رَابَكَ؟ أَظُنُّ الْعَدُوَّ الْحَاضِرَ أَتَاكَ فَقَالَ لَكَ: مِنْ خَلْقِكَ، فَقُلْتَ: اللَّهُ خَلَقَنِي، فَقَالَ لَكَ: مَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ قَالَ: إِي وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَكَانَ كَذًّا، فَقَالَ: إِنْ الشَّيْطَانُ أَتَاكَ مِنْ قَبْلِ الْأَعْمَالِ فَلَمْ يَقَوْ عَلَيْكُمْ، فَأَتَاكُمْ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ لِكَيْ يَسْتَزِلَّكُمْ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلْيَذْكُرْ أَحَدَكُمْ اللَّهَ وَحْدَهُ).

- ١- انزعاج هذا الإنسان من هذه الأفكار وشكواه دليل إيمانه.
- ٢- هذه الأفكار قد تكون وساوس شيطانية تُدْفَعُ بِذِكْرِ اللَّهِ.
- ٣- لا تعتنِ بمثل هذه الأفكار، وستزول تلقائياً وبالتدرّج.
- ٤- قد تشتت الأفكار السلبية، ما قد يدل على وجود حالة مرضية تستدعي التدخل الطبي والعلاجي.



طلب الحلال



وَكَلَّ الإمام جعفر الصادق عليه السلام رجلاً اسمه (مصادف) ليتاجر بألف دينار، فخرج الرجل إلى مصر ومعه آخرون، وما إن دنوا منها، علموا إنَّ تلك السوق بحاجة ماسّة إلى بضاعتهم، وكانت مما يحتاج إليه عموم الناس، فتحالفوا وتعاهدوا على أن لا ينقص ربحُهم عن نسبة ١٠٠٪، وهكذا كان، (فلما قبضوا أموالهم انصرفوا إلى المدينة، فدخل مصادف على أبي عبد الله عليه السلام ومعه كيسان، في كل واحد ألف دينار، فقال: جُعِلَتْ فداك، هذا رأس المال، وهذا الآخر ربح) ومن الواضح أن مصادف كان فرحاً جداً

بنتيجة التجارة هذه، وتوقع أن يفرح الإمام أيضاً، ولكنه كان مخطئاً في ذلك (فقال: إنّ هذا الريح كثير) وغير متوقع ولا من العادة أن يكون كذلك... فسأله: (ولكن ما صنعتُم في المتاع؟ فحدّثه كيف صنعوا وكيف تحالفوا، فقال: سبحان الله! تحلفون على قوم مسلمين ألاّ تبيعوهم إلاّ بريح الدينار ديناراً؟! ثم أخذ أحد الكيسين فقال: هذا رأس مالي، ولا حاجة لنا في هذا الريح، ثم قال: يا مصادف، مجالدة السيوف أهونٌ من طلب الحلال).

لقد اعتبر الإمام الصادق عليه السلام:

١. أنّ الريح كان فاحشاً، ولا بركة فيه، لأنه جاء على حساب حاجة عامّة الناس الضرورية.

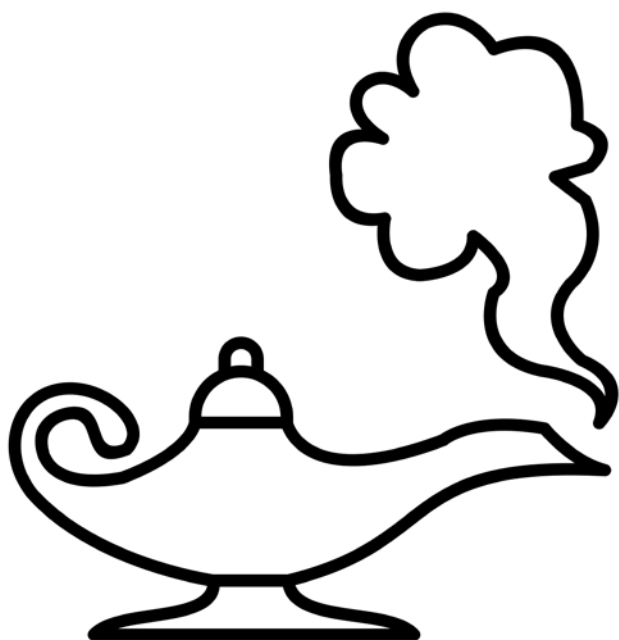
٢. الإسلام يريد من التجّار أن يرفقوا بحال الناس في حاجاتهم الأساسية والضرورية، وخصوصاً في ساعات العسرة والحاجة.

٣. لم يحدّد الإمام الاتفاق والتعاقد والتحالف الذي تمّ بين التجار وعلى حساب عامة الناس، وبما يؤثّر في توقّر تلك الموارد، أو بما يؤدي إلى ارتفاع أسعارها بشكل يخالف الرفق بعامة الناس، ويجعلهم مجبورين على الشراء بسعر مرتفع ومحدّد لا مجال للحصول على أقلّ منه.



روي عن الإمام علي الرضا عليه السلام أنه سأل علي بن أبي شبيب المدائني: (يا علي، مَنْ أحسن الناس معاشاً؟) أي حياةً أو عيشة (قلت: أنت يا سيدي أعلم به مني. فقال عليه السلام: يا علي، مَنْ حَسُنَ معاشُ غيره في معاشه).

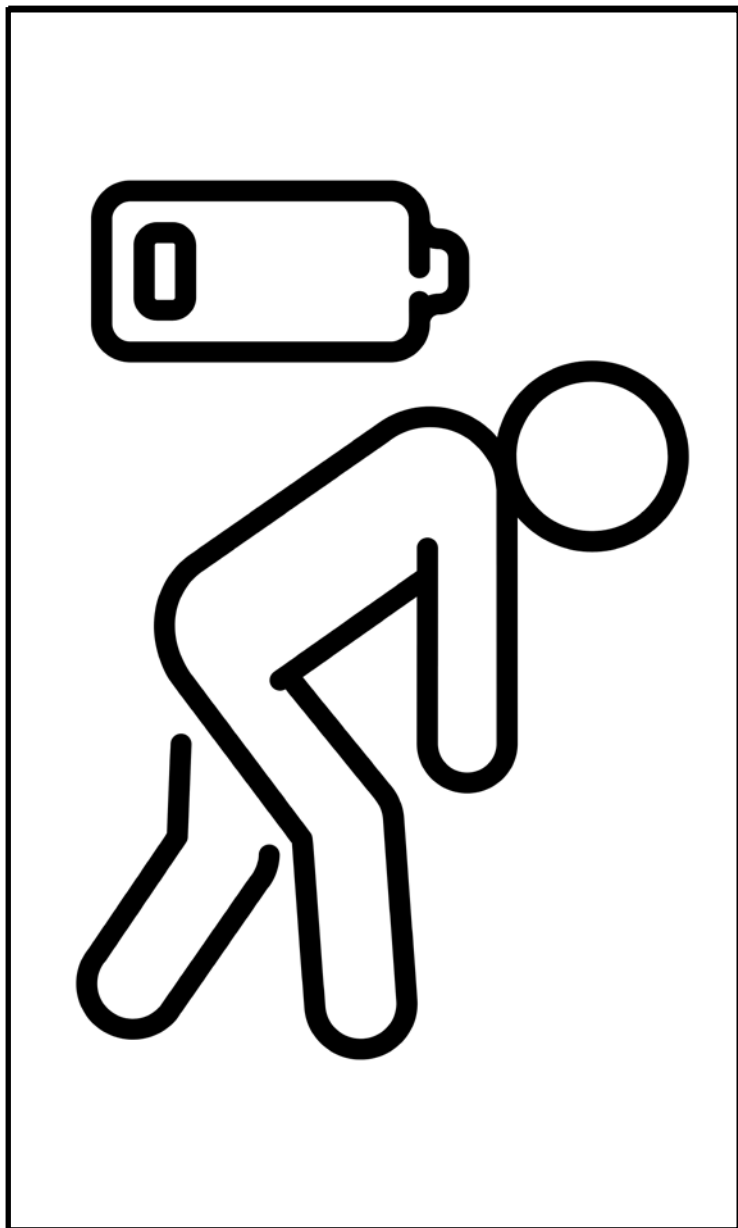
قد يتبادر إلى ذهن البعض أن أحسن الناس حياةً هو الذي يحصل على كل ما يريد... لديه من المال ما يستطيع عن طريقه الحصول على كل شيء.. أو لديه المصباح السحري، أو خاتم



سليمان، فيتحقق له ما يريد... ولكنه ﷺ يخطئ هذه الفكرة.
وقد يتبادر إلى ذهن البعض أن أحسن الناس حياةً هو أقواهم،
لأن بالقوة يحصل الإنسان على ما يريد.. وهذا خطأ.. فكل قوي
يضعف.. وكل قوي سيأتي من هو أقوى منه.

وقد يتصور البعض أن الشهرة ستجعل الحياة أحسن حياة..
فبالشهرة يشعر الإنسان بأن الجميع ينظر إليه، ولربما يريد
خدمته والتودد إليه.. وكفى بهذا سعادة.. وهذا خطأ أيضاً..
ويكفيك أن تسأل المشاهير عن عذابات حياتهم وعدم
خصوصيتها وتمنيهم لو يُتركوا وشأنهم ليعيشوا حياة طبيعية.
نعم في البداية قد تكون الأمور جميلة.. ولكن الشهرة
ستتحول بعد ذلك إلى نقمة وعذاب.

إن أحسن الناس معاشاً بحسب حكمة الإمام الرضا ﷺ هو
الذي ينجح في أن تكون حياته سبباً لسعادة الآخرين... أن
يساعد الآخرين بما أنعم الله عليه... بالمال... بقوته الجسدية...
بقدراته المهنية... بتخفيف آلام أو وحدة المرضى وكبار السن ..
بتوظيف وقته لخدمة المجتمع.. بإصلاح ذات البين ... أو غير
ذلك مما هو ميسور له.





توقفنا في الحكمة السابقة عند قول الإمام علي الرضا عليه السلام لابي
 ابن أبي شبيب المدائني أن أحسن الناس معاشاً: (مَنْ حَسُنَ
 معاشُ غيره في معاشه)... ثم سأل عليه السلام: (يا علي، مَنْ أسوأ الناس
 معاشاً؟) مع ملاحظة أن الإمام لا يسأل عن حياة المجرمين
 والسفاحين بل بالمقارنة إلى الناس الطبيعيين (قلت: أنت أعلم.
 قال: مَنْ لَمْ يَعِشْ غَيْرُهُ في معاشه).

ومصداق ذلك:

الأناي الذي لا يفكر إلا في نفسه.. الذي يبخل بما عنده..
الذي لا يهّمه إلا بلوغ سعادته الشخصية.. الذي لا يفكر إلا
بملذّاته.

مّن لا يتأثّر بمعاناة الآخرين.. الذي لا يتواصل مع أحد... الذي
لا يقيم وزناً لبرّ والدين، ولا لصلّة رحم، ولا لحقوق إخوان... إن
هذا النموذج من الناس يمثّل مصداقاً لأعّس الناس حياة.

فمثل هذا النموذج يعيش على هامش الحياة... ويموت... فلا
يترحم عليه أحد... ويُبْعَث فلا يجد في ميزان أعماله في الآخرة
شيئاً يستحقّ الرحمة الإلهية.

وخلاصة هذه الحكمة أنه كلّما زاد عطاؤك من حياتك حياة
الآخرين، كلّما اقتربت من السعادة أكثر، وإن لم تمتلك من
الدنيا إلا القليل.

وكّلما نقص عطاؤك من حياتك حياة الآخرين، كلّما اقتربت
من التعاسة أكثر، وإن كنت تملك مال الدنيا كلّها.

دعوا هذه اللَّمَازَةَ



عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: (أَلَا حُرِّيدَعُ هَذِهِ اللَّمَازَةُ لِأَهْلِهَا. إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةُ، فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِهَا) الحكمة رقم ٤٢٩ من نهج البلاغة.

اللُّمَازَةُ: ما يبقى في الفم من الطعام. واستُعملت الكلمة هنا بصورة مجازية للإشارة إلى الدنيا وحقيقتها وقيمتها.

بعد تناول الطعام، نتمضمض -عادةً- لتخلّص من بقاياها

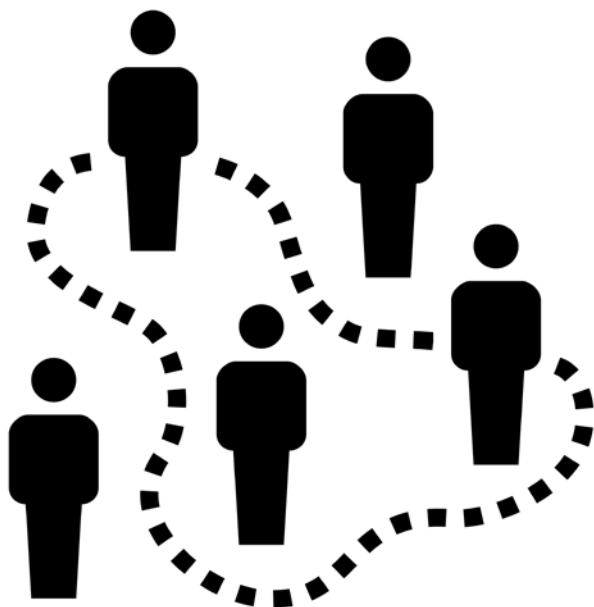


الموجودة في الفم، وأعقبنا ذلك بالبصق... وهذا يدل على أن بقايا الطعام في الفم ليست لها أية قيمة أو أهمية، بل ونعمل على التخلص منها، لأن لبقائها آثاراً سلبية ومكروهة.

يقول الإمام عليه السلام في هذه الحكمة: حقيقة الدنيا وقيمتها - بكل تفاصيلها وزخرفها وزبرجها - مقارنة بالحياة الآخوية هي بمثابة بقايا الطعام هذه مقارنة بالوجبة التي تناولها.

كان يشتهي تلك الوجبة، وأقبل عليها بكل عناية، وتناولها بتلذذ، واستفاد منها... أما اللُماظة، فبصقها للخارج.

فهي دعوة من الإمام علي عليه السلام للتحرّر من التعلّق بهذه الدنيا، فلهذه اللُماظة أهلها، وأما الإنسان الذي يُحرّر نفسه فلا يتعلّق بها، لأن التعلّق بها يقود إلى خسران الوجبة الحقيقية... الجنة: (إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةُ، فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِهَا).





عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: (مُقَارَبَةُ النَّاسِ فِي أَخْلَاقِهِمْ
أَمْنٌ مِنْ غَوَائِلِهِمْ) الحكمة رقم ٤٠١ من نهج البلاغة.

الغوائل: جمع غائلة، وهي التبعات السيئة وعموم الشرور.
وهذه الحكمة مهمّة للمسافرين، ولمن يهاجرون أو ينتقلون
للسكن خارج أوطانهم... فما هي رسالة هذه الحكمة؟

استعمال كلمة (الأخلاق) في بعض النصوص يكون للدلالة

على القيم الأخلاقية، مثل العدل والإحسان والأمانة والصدق، بينما يُراد منه -في نصوصٍ أخرى- خصوص الآداب والعادات والتقاليد التي تُنظّم حياة الناس الاجتماعية والفردية، وبما لا يتجاوزون من خلالها الشرع والأخلاق.

فمن طبع الناس أنهم ينزعجون أو ينفرون ممّن يضادّهم في ما ألفوه واعتادوه من تلك الآداب والعادات، وإذا استمرّ الاحتكاك طويلاً بين الطرفين، فقد يتحوّل الأمر إلى سبب للاستفزاز والكراهية والتصادم. وهذا مشهود في مواسم السفر، وفي المجتمعات التي تستقبل المهاجرين.

فإذا كانت للمجتمع طريقةً هادئةً في الكلام وتبادل الأحاديث، واستعمال الطريق، وارتياح وسائل النقل العامة، وحدود العلاقات الاجتماعية، ومستوى التدخل في الخصوصيات، وطريقة التحدث مع العاملين، وأمثال ذلك، فإنّ عدم مراعاتها من قبل الوافد على ذلك المجتمع سيكون سبباً للاستفزاز والانزعاج، ولربما يؤدي إلى التصادم... ولذا قيل قديماً: (يا غريب... كن أديب).



لا شك أن الحزن على الميت أمرٌ ينطلق من فطرة الإنسان،
 وادليلٌ على صحة الإنسان النفسية، ولذا فلا اعتراض على
 الحُزن حيث يستوجب الأمرُ ذلك... وأما المنهي عنه في الإسلام
 فهو الجزع، لا مطلق الحُزن.

والجزع: المبالغة في الحزن إلى المستوى الذي يخرج فيه عن
 الحد الطبيعي، وينعكس في صورة بعض الممارسات والأقوال،
 من قبيل الاحتجاج على قضاء الله ﷻ وقدره قولاً، وشقّ الجيب،
 وجزّ الشعر، وخمّش الوجه، وأمثال ذلك.



ومن المبالغة في الحزن، استمراره لمدة طويلة، على مدى سنة ولربما أكثر، بما يربك حياة الفرد أو الأسرة بشكل واضح، وهذا أمر غير محمود، لا بالمنظور الديني ولا النفسي. وأما حُزن النبي يعقوب عليه السلام والإمام زين العابدين عليه السلام فلهما خصوصية، ولذا لا يُقاس عليهما.

وفي الحكمة برقم ٣٥٧ من نهج البلاغة توجيهٌ من الإمام عليه السلام لبعض أهل ميّت لئلا يستغرقوا في الأحزان بتلك الصورة المبالغ فيها، قال: (وَعَزَى قَوْمًا عَنْ مَيِّتٍ مَاتَ لَهُمْ فَقَالَ عليه السلام: إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَيْسَ لَكُمْ بَدَأً) ليس بأول ميّت في الوجود (وَلَا إِلَيْكُمْ أَنْتَهَى) وليس آخر الأموات (وَقَدْ كَانَ صَاحِبُكُمْ هَذَا يُسَافِرُ) فقد جرّبتُم ألم الفراق (فَعُدُّوهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَإِنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ) فإمّا أن يرجع من السفر فيزول الألم، وهذا لن يحصل في حالة الموت (وَالَا قَدِمْتُمْ عَلَيْهِ) فأنتم ستغادرون هذه الدنيا، وتلتقون به في ما بعد هذه الحياة... ولذا تكيّفوا مع هذا الواقع الجديد، وخفّفوا على أنفسكم، لئلا يتحوّل هذا الموت إلى عُقدة مربكة لحياتكم وحياة من يرتبط بكم.



كونوا زينا



روي أن الإمام العسكري عليه السلام كتب وصيةً تضمّنت بُعد
 العبودية لله تعالى والتقوى والعمل بسنة رسول الله، ثم انعكاسات
 ذلك على العلاقات الاجتماعية، ومسؤولية حمل عنوان التشيع.
 ونصّ الوصية كالتالي: (أوصيكم بتقوى الله، والورع في
 دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى من
 أئتمنكم من برّ أو فاجر وطول السجود، وحسن الجوار فهذا
 جاء محمد صلى الله عليه وآله) هذا النمط السلوكي هو الانعكاس الطبيعي
 للالتزام ببعد العبودية لله وستة نبيه صلى الله عليه وآله.

وحيث إنّ العلاقة مع الآخر المذهبي من القضايا المثيرة للجدل، لذا فقد بينَ ﷺ معالمها من خلال تقديم مجموعة من المصاديق ذات الصبغة الاجتماعية: (صَلُّوا فِي عَشَائِرِهِمْ، وَاشْهَدُوا جَنَائِزَهُمْ، وَعُودُوا مَرْضَاهُمْ، وَأَدُّوا حُقُوقَهُمْ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا وَرَعَ فِي دِينِهِ، وَصَدَقَ فِي حَدِيثِهِ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَحَسَنَ خُلُقَهُ مَعَ النَّاسِ، قِيلَ هَذَا شِيعِيٌّ، فَيَسْرُنِي ذَلِكَ).

ثم عاد ﷺ ليؤكد أهمية الالتزام بالتقوى والدعوة مع تحمل مسؤولية الانتماء للتشيع: (اتَّقُوا اللَّهَ، وَكُونُوا زِينًا، وَلَا تَكُونُوا شَيْنًا، جُرُّوا إِلَيْنَا كُلَّ مَوَدَّةٍ، وَادْفَعُوا عَنَّا كُلَّ قَبِيحٍ؛ فَإِنَّهُ مَا قِيلَ فِينَا مِنْ حُسْنٍ فَنَحْنُ أَهْلُهُ، وَمَا قِيلَ فِينَا مِنْ سُوءٍ فَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ. لَنَا حَقٌّ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَقَرَابَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَتَطْهِيرٌ مِنَ اللَّهِ، لَا يَدَّعِيهِ أَحَدٌ غَيْرُنَا إِلَّا كَذَابٌ).

وأخيراً أوصى ببعض ما من شأنه أن يؤثر بصورة إيجابية على مصير الإنسان: (أَكْثَرُوا ذِكْرَ اللَّهِ، وَذَكَرَ الْمَوْتِ، وَتِلَاوَةَ الْقُرْآنِ، وَالصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فَإِنَّ الصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ. احْفَظُوا مَا وَصَّيْتُكُمْ بِهِ، وَأَسْتَوْدِعُكُمْ اللَّهَ، وَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ السَّلَامَ).



أنا صائم.. إذا مِنْ حَقِّي أَنْ أَغْضِبَ!

معادلة غريبة، ولكنها تعكس ما يدور في العقل الباطن لكثيرٍ ممَّن ينفجرون غضباً وهم صائمون. وهي معادلة غريبة لأنَّ من المفترض بالصيام أن يكون- وبنص القرآن الكريم- من وسائل تحقيق التقوى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [سورة البقرة]... وبعبارة أخرى فإنَّ من غايات الصيام أن يكون طريقاً من طرق تهذيب النفس.



ومن الواضح أن الغضب في غير محلّه لا يلتقي مع هذه الغاية التهذيبية... فما تفسير ذلك؟ وكيف يجتمع الصيام والغضب؟

هناك خلل في ما يمارسه هؤلاء بعنوان الصيام، وعِلّة الخلل -في الغالب- تتمثل في التركيز على البُعد التشريعي الفقهي في العبادة، وإن شئت فقل: جسد العبادة، مع إهمال البُعد الآخر الذي هو بمنزلة الروح من الجسد، لتصبح العبادة عندهم مجرد حركات أو عملية حرمان مؤقت، ليس له أيّ عمق روحي ولا أيّ معنى وجداني.

يُضاف إلى ذلك عدم الانسجام النفسي مع الصيام.. وكأنّهم -في اللاشعور- يعيشون حالة من الغضب على أصل تشريع الصيام.. لماذا شُرّع الصيام الذي يغيّر روتين حياتنا، ويحرماننا من التمتع -خلال ساعات النهار- مما اعتدنا عليه من ملذّات؟ وإذا كان الفقهاء لا يضعون السب والغيبة والكذب والنميمة والغضب غير المبرّر ضمن قائمة المفطرات، إلا أنّ في ما رواه المسلمون عن تقديم النبيّ الطعام لامرأة صائمة شتمت جارتها خير دليل على أنّ الاكتفاء بجسد التشريع لا يُعطي للعبادة قيمتها الحقيقية، وإن سقط التكليف بمجرد ذلك.



٣٧

صواريخ شلتوتية



(... ترجع معرفتي بشيخ الأزهر المرحوم الشيخ محمود شلتوت إلى سنة ٤٩...) بهذه الكلمات افتتح الشيخ محمد جواد مغنية (ت ١٩٧٩م) مقالاً حول لقاءه بشيخ الأزهر أثناء سفره إلى القاهرة عام ١٩٦٣م، وهي السنة نفسها لوفاة الأخير (اجتمعت به في داره، فأهّل ورحّب، واستقبلني أفضل استقبال، وحين قدّم لنا شراب الليمون، أبى إلا أن نشترك في كأس واحد، فكان يشرب قليلاً، ويناولني الكأس، فأشرب من سؤره) أي ما تبقى من شربه (وجرى بيننا حديث الشيعة والتشيع، فأثنى وأطنب، وقال في ما

قال: إنّ الشيعة هم الذين أسّسوا الأزهر، وبقي أمداً غير قصير تُدرّس فيه علومهم ومذهبهم، ثم أعرض القائمون عليه عن هذا المذهب، فحرموا من نوره الساطع، وفوائده الجمّة).

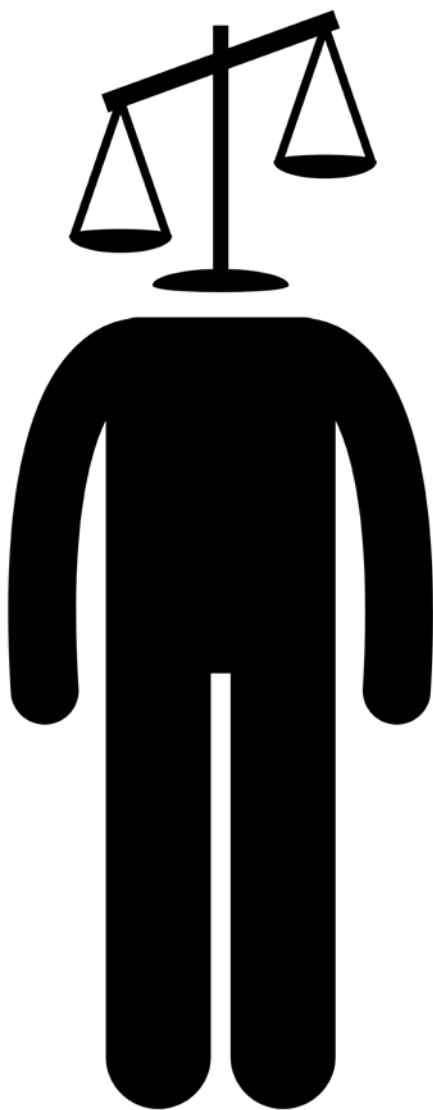
وخطبه الشيخ مغنيّة قائلاً: (.... يقولون إنّ لدى الغرب صواريخ وقنابل ذريّة، وما دروا أنّ لدينا -نحن أهل الحق والإسلام- قنابل وصواريخ أعظم أثراً وأشدّ خطراً على الباطل، ولكنها تحتاج إلى خبراء فنيين كالشيخ شلتوت، تماماً كما يحتاج إطلاق الصواريخ وإلقاء القنابل إلى أهل الاختصاص).

وبالفعل، فإنّ بعضاً من مشكلة المسلمين في ما اختلفوا فيه في شؤون العقيدة والفقه لا يعود إلى أساس علميٍّ، بل نفسيٍّ، ولذا فإنه إذا اقترب أحدهم فاكشف إمكانية صواب فكر الآخر، حاول أن يلقّ ويدور ويتكلّف بهدف التهرب من لوازم الاعتراف بالخطأ، وإضافة [نقطة] إلى رصيد من يختلف معه، ما يجعله يقف عند موقعه من دون أن يتحرّك خطوة واحدة باتجاه الآخر، وليبقى الرفض المتبادل هو سيد الموقف: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ٥٣﴾ [سورة الإسراء].



الأخلاق حالة أصيلة في وجود الإنسان، وليست أمراً طارئاً وعَرَضياً، بل هي من صلب الحياة، ومن طبيعة الإنسان وفطرته، ولذا لا يختلف شخصان سَوِيَّان على القيم الإخلاقية في عناوينها الرئيسة، وأهميتها في ضبط السلوك الإنساني... وأما دور الدين فهو البيان والتحفيز، لا الوضع والتقرير.

ولذا نقول بأن القيم الأخلاقية صفات عينية قائمة في نفس



الأفعال وطبائعها، ولا دخل في وجودها لأوامر الدين ونواهيها. ولذا قال علي عليه السلام حول الأوامر والنواهي الإلهية: (فإنه لم يأمرك إلا بحسن، ولم ينهك إلا عن قبيح)، ومعنى هذا أن حسن الفعل وقبحه سابقان لصدور الأمر والنهي، فالله عز وجل أمر به لأنه حسن، ونهى عنه لأنه قبيح، والله خالق كل شيء.

وبهذا المنطق يُغلق الباب أمام كل نص أو قانون أو تشريع لا يتوافق مع المبادئ الأخلاقية العامة التي تُقرّها الإنسانية وتتوافق عليها الفطرة.

وبذا، كان الظلم مرفوضاً وإن ورد نص يُرّج له ويُبرّر فعله... والظلم باطلاً وإن استنبطه فقيهٌ وقدمه حُكماً اجتهادياً... والظلم مردوداً وإن صدر بقرارٍ من صاحب سلطة عليا، ولذا قال الإمام علي عليه السلام: (ألا إنَّ كلَّ قطيعةٍ أقطعها عثمان، وكلَّ مالٍ أعطاه من مال الله فهو مردودٌ في بيت المال، فإنَّ الحقَّ القديم لا يُبطله شيء، ولو وجدته قد تزوج به النساء، وفرّق في البلدان لردّته إلى حاله، فإنَّ في العدل سعة، ومن ضاق عنه الحقُّ فالجور عليه أضيّق).



معيّار التفاضل



في الحوار التالي الذي نقله لنا الحسن بن موسى بن علي الوشاء البغدادي، يُبدي الإمام الرضا عليه السلام انزعاجه من المفهوم الخاطئ الذي اعتمد عليه أخوه (زيد) في التفاخر على الآخرين، وذلك انطلاقاً من الانتساب للنبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وفاطمة عليها السلام، مبيناً أنّ المدار في رضا الله تعالى عن الإنسان، والنجاة في الآخرة، يعود إلى الإيمان والتقوى والعمل الصالح، لا العنوان الذي يحمله، ولا البيت الذي ينتسب إليه.

قال الحسن: (كنتُ بخراسان مع علي بن موسى الرضا عليه السلام في مجلسه، وزيد بن موسى حاضرٌ قد أقبل على جماعةٍ في المجلس يفتخرُ عليهم ويقول: نحن ونحن. وأبو الحسن عليه السلام مقبلاً على قوم يحدثهم، فسمعَ مقالةَ زيد، فالتفت إليه فقال: يا زيد، أغرك قول ناقي الكوفة: إنّ فاطمة عليها السلام أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار؟ فوالله ما ذاك إلا للحسن والحسين وولدِ بطنها خاصة، فأما أن يكون موسى بن جعفر عليه السلام يطيع الله ويصوم نهاره ويقوم ليله، وتعصيه أنت، ثم تحيثنان يوم القيامة سواء؟ لأنّك أعزّ على الله تعالى منه. إنّ علي بن الحسين عليه السلام كان يقول: لمُحسِننا كِفْلاَن من الأجر، ولمُسيئنا ضِعْفاَن من العذاب. قال الحسن الوشاء: ثم التفت إليّ فقال لي: يا حسن، كيف تقرؤون هذه الآية: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾؟ فقلت: من الناس من يقرأ ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ ومنهم من يقرأ [إنه عملٌ غير صالح]، فمن قرأ ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ فقد نفاه عن أبيه. فقال عليه السلام: كلا، لقد كان ابنه، ولكن لما عصى الله تعالى نفاه عن أبيه. كذا من كان ممّا لم يطع الله تعالى فليس منا، وأنت إذا أطعت الله تعالى فأنت منّا أهل البيت).



حُبَّ الله أسمى أنواع العلاقة وأرقاها بين العبد وخالقه، بينما علاقة أكثر المؤمنين قائمة على أساس المصلحة الشخصية... ما مقدار الثواب المترتب على فعلٍ كذا، وهل هذا الفعل أكثر ثواباً أم ذاك؟ وماذا أكرّر من أذكار لتسقط عني التبعات الأخروية على فعلٍ كذا وكذا.

لا أريد أن أخطئ ذلك وأنفي أثره، فالخطاب القرآني -في كثير من موارد- قائم على هذا الأساس، ولعلّ ذلك يعود إلى أن الله

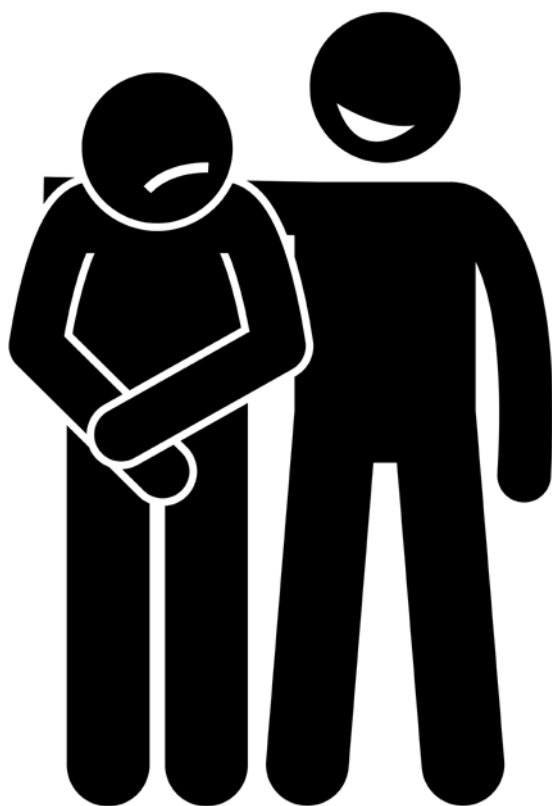


يعلم حقيقة الإنسان، وأنه ينطلق في طاعاته من خلال ذلك، لا من خلال شكر المنعم وحبه وعرفان نعمته... بل أريد أن أقول إن علاقة الحب - هذه - أسمى منزلة وأرقى مرتبة.

وهذا الحب ليس حُباً سريالياً يعيش خارج نطاق الواقع، ويهيم بصاحبه في عالم الخيال، بل هو قائم على أسس واقعية، لأنه حُب المخلوق لخالقه، والمنعم عليه للمنعم، ومتى ما أحب العبدُ ربّه، كان كما يحب، وهجر ما لا يرضيه، ولذا قال ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٣١﴾ [سورة آل عمران].

وبيّن الإمام الصادق عليه السلام ذلك بوضوح إذ قال: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ، فليعمل بطاعة الله وليتبعنا، ألم يسمع قول الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ...﴾).

ومتى ما أحب العبدُ ربّه أقبل الله ﷻ عليه وهده لما يحب، لذا قال الإمام علي عليه السلام: (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا حَبَّ إِلَيْهِ الْأَمَانَةُ)... (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا زَيَّنَّ بِالسَّكِينَةِ وَالْحِلْمِ)... (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا أَهْمَهُ الصَّدَق)... وعنه عليه السلام: (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا أَهْمَهُ رَشْدَهُ وَوَقَّعَهُ لَطَاعَتَهُ).



قطيعةٌ وصِلة



أن تُوفَّق لعلاقة صداقة ترتفع إلى مستوى الأخوة الصادقة التي لا تنطلق من حالة مصلحة، فتلك نعمة لا يُفَرِّطُ فيها. وجود مثل هذه العلاقة، وبهذا المستوى، لا يعني أنها حصينة ومنيعة تجاه احتمالات القطيعة، أو برود العلاقة، أو تخلّل بعض صور الخلاف أو العتاب، والذي قد يكون بخلفيات مالية أو سلوكية أو اجتماعية أو غير ذلك.

من هنا، وحرصاً على هذه العلاقة الثمينة، قدّم الإمام علي عليه السلام مجموعة من التوجيهات التي يمكنها أن تُعين على تجاوز العقبة الحادثة، والخلل الطارئ وتعيد الأمور إلى ما كانت عليه، ولربما إلى ما هو أفضل... وأقدّمها في النقاط التالية:

١. اِحْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرَمِهِ [قطيعته] عَلَى الصَّلَةِ.

٢. وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللَّطْفِ وَالْمُقَارَبَةِ.

٣. وَعِنْدَ جُمُودِهِ [بُخْلِهِ] عَلَى الْبَذْلِ.

٤. وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ.

٥. وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللَّيْنِ.

٦. وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ.

حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ.

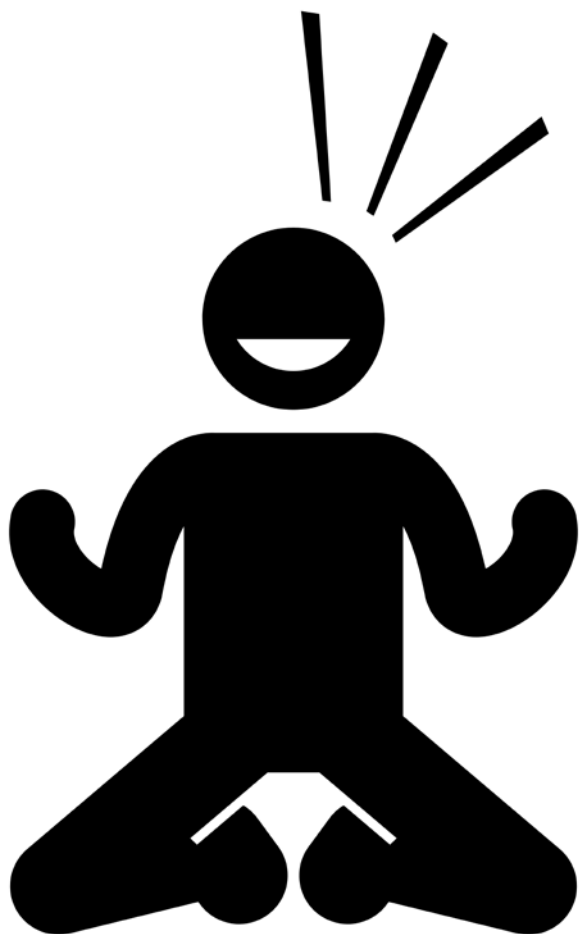
ولكن الإمام في نهاية هذه الوصايا يحذّر من الوقوع في فتح إكرام الأخ الصديق الذي انكشف لك لؤمُه، وأنه سيسيء استغلال تقربك إليه بعد بروز ذلك الخلل في العلاقة، فيجعله وسيلةً لإذلالك، أو أداةً لاتّهامك والتشهير بك، ولذا قال عليه السلام: (وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَ بِغَيْرِ أَهْلِهِ).

٤٢

ابن المحظوظة



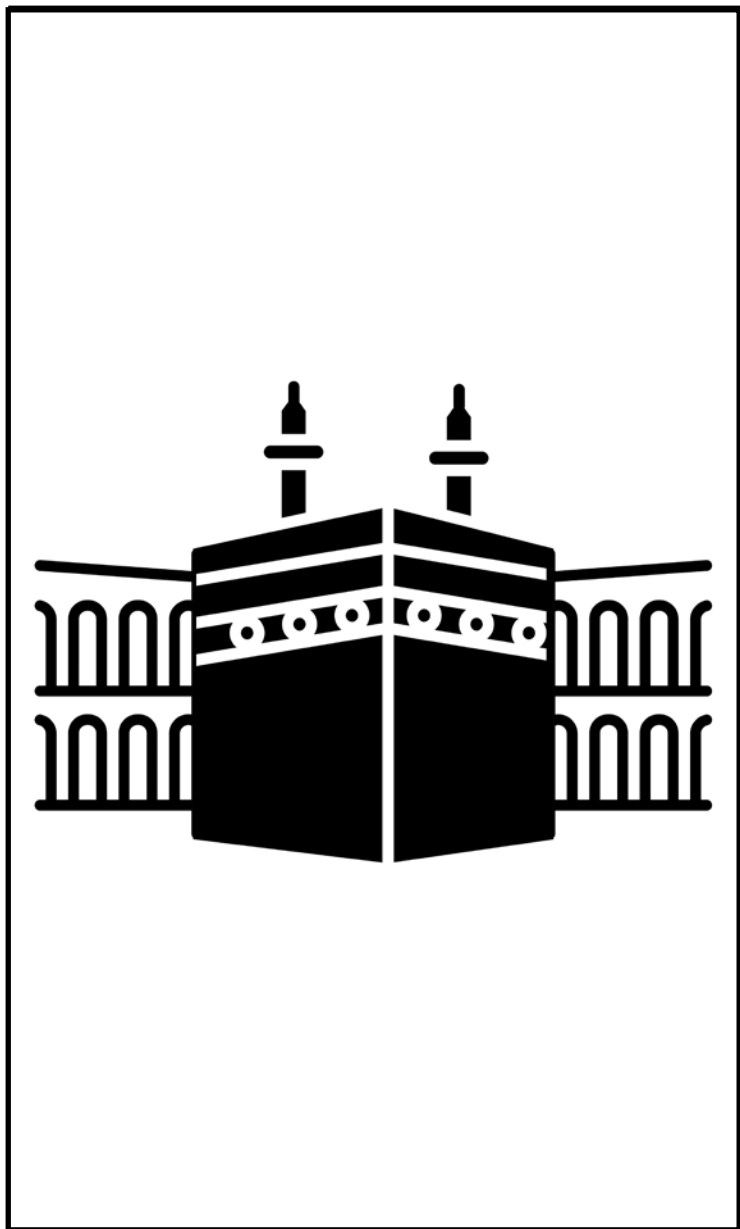
الحظ - في اللغة- بمعنى النصيب، قال ﷺ: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۝١١» [سورة النساء]، ولكن يكثر استعماله -اليوم- في خصوص النصيب الذي يتحقق للإنسان دون أن يكون له دخلٌ فيه... يفتح مشروعاً تجارياً فيفشل، يعقبه مشروع آخر فيفشل، أو يتزوج فيطلق ثم يتزوج بأخرى فيطلق، فيقال: (فلان غير محظوظ، سيء الحظ).



وفي المقابل، هناك مَنْ يحصد الهدايا بالقرعة أينما حلّ، دون أن يبذل أدنى جُهد، فيقال عنه: (فلان محظوظ، وابن المحظوظة) ... فهل للحظّ حقيقة؟ وهل في الإسلام ما يشير إلى إثباته أو نفيه؟ أولاً: لا يصح أن نعتقد أنّ للحظّ دوراً بعيداً عن إرادة الله ﷻ وتقديره، إذ ليس في هذا الكون ثمة شيء مؤثر خارج إرادته.

ثانياً: كلّ شيء في الوجود يجري وفق ميزان معلوم، ولذا يمكن اعتبار الحظ نوعاً من التدبير والتقدير والرزق الإلهي، ولا علاقة له بالصدفة أو العشوائية.

ثالثاً: الله ﷻ لا يريد بعباده إلا الخير، وما فيه صلاحُ أمرهم، فإذا وقع شرٌّ فهو ليس بشرٍّ محض، بل قد يستبطن خيراً ولو بعد حين، وإن لم يكن ذلك الحين قريباً، ولعلّ ما نعتقد -من خلال ظاهره- أنه خير، هو -في علم الله- شرٌّ، وقد دفعه عنا بما اعتبرناه سوءَ حظ، بينما كان الأمر في الواقع رحمة من الله، كما ولعلّ ما جرى يستبطن خيراً لآخرين في الامتداد الزمني نفسه، وفي الدعاء: (ولعلّ الذي أبطأ عني هو خيرٌ لي، لِعِلْمِكَ بعاقبة الأمور) ... ولذا لا بد من استبعاد الاعتقاد بالحظ السيّئ، ومقولة أن فلاناً سيّئ الحظ.



سؤال غير بريء



بينما كان الإمام جعفر الصادق عليه السلام يطوفُ حولَ الكعبة المشرفة، وبالقرب منه سفيان الثوري الذي كان يُعدُّ أحد فقهاء ورُهاد زمانه، توجّه سفيان إلى الإمام بسؤالٍ غير بريء، يريد به أن ينبّهه إلى تركه سنة من السنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فدار بينهما هذا الحوار:

الثوري: يا أبا عبد الله، كيف كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصنع بالحجر إذا انتهى إليه؟

الإمام: كان رسول الله ﷺ يستلمه في كلّ طواف، فريضة ونافلة.

بعد أن استمع الثوري جواب الإمام وتأكد من أنه يعرف هذه السنّة، وأنها ليست خافية عنه، بينما هو -عملياً- لا يلتزم بها، في حين أنه من أولى الناس بذلك، بدأ يبطئ خطواته ليتأخّر قليلاً عن الإمام ويراقبه من خلفه.

ولما بلغ الإمام الحجر الأسود، جاوزه ومشى ولم يستلمه بيديه، فلحقه سفيان فقال:

الثوري: يا أبا باعبد الله، ألم تخبرني أن رسول الله ﷺ كان يستلم الحجر في كلّ طواف، فريضة ونافلة؟

الإمام: بلى.

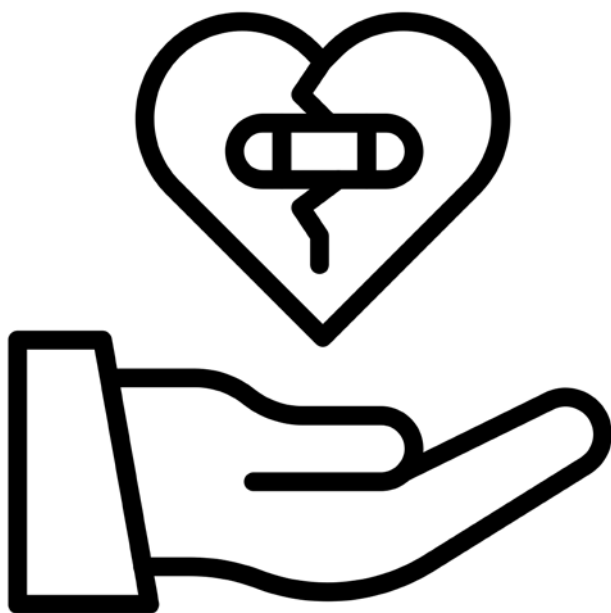
الثوري: فقد مررت به فلم تستلم؟!!

الإمام: إنّ الناس كانوا يرون لرسول الله ﷺ ما لا يرون لي، وكان إذا انتهى إلى الحجر أفرجوا له حتى يستلمه، وإني أكره الزحام.

رَدُّ الْمَظَالِمِ



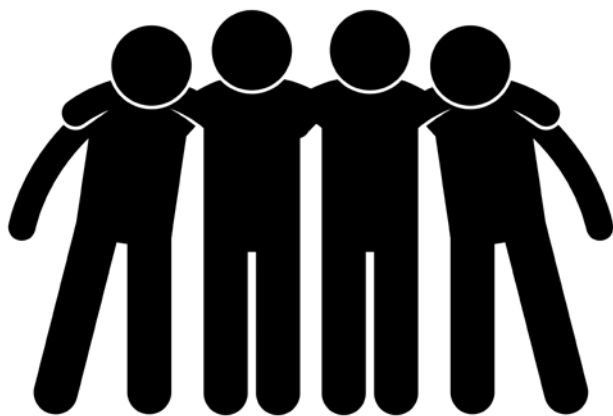
روى الكليني بسنده عن موسى بن بكر عن الإمام موسى
 الكاظم عليه السلام أنه كتب دعاءً إليه في قرطاس، وفيه: (اللَّهُمَّ ارْجُدْ
 إِلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ مَظَالِمَهُمُ الَّتِي قَبْلِي، صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا، فِي يُسْرِ
 مِنْكَ وَعَافِيَةٍ، وَمَا لَمْ تَبْلُغْهُ قُوَّتِي وَلَمْ تَسْعُهُ ذَاتُ يَدَيَّ، وَلَمْ يَفُوتْ
 عَلَيْهِ بَدَنِي وَيَقِينِي وَنَفْسِي، فَأَدِّهِ عَنِّي مِنْ جَزِيلِ مَا عِنْدَكَ مِنْ
 فَضْلِكَ، ثُمَّ لَا تُخْلَفْ عَلَيَّ مِنْهُ شَيْئًا تَقْضِيهِ مِنْ حَسَنَاتِي، يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ). في هذا الدعاء القصير رسائل عدّة:



١. التربية على التحرّر من العدوان: للإنسان نقاط الضعف قد تقوده إلى العدوان على الآخرين... على ممتلكاتهم، أو أشخاصهم، أو سمعتهم، أو أجسادهم... إلخ. والإمام يستعرض بأسلوب تربوي ضرورة تهذيب النفس للتحرّر من نقاط الضعف تلك، وما ينجم عنها من صور العدوان، وذلك من خلال الابتهاال إلى الله ﷻ بأن يرزقه القوة لردّ تلك المظالم إلى أهلها.

٢. الخلاص من التبعات في يُسر وعافية: ثم يطلب الإمام ﷺ أن لا يكون ذلك ناتجاً عن موقف عصيب ينتبه معه الإنسان ويندم، كأن يكون تحت ضغط سجن، أو مرض، أو فاجعة، أو تهديد، بل أن يتيسّر ذلك في عافية.

٣. اللجوء إلى الله: قد لا يمتلك الإنسان من المال، أو من القوة، أو من الوسائل، ما يردّ به مظالم الآخرين، أو قد تتحوّل السلوكيات إلى عُقدةٍ مستعصيةٍ عميقةٍ الجذور في النفس، بحيث قد تمنع الإنسان من التحوّل إلى الحياة الجديدة الخالية من الأخطاء وتبعاتها. فإذا شعر الإنسان بالعجز عن ذلك رفع أمره إلى الله ليعوّض أصحاب المظالم عنها، فيرضيهم بما يمنحهم من فضله ليتخفّف صاحبها من ذلك بشكل نهائيّ.



تأليف القلوب



﴿... وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا... ١٠٣﴾ [سورة آل عمران].

هذه الصورة المقدّمة في الآية الشريفة عن المؤمنين والتي تتحقّق فيها الألفة، والأخوة، وعدم الاختلاف، وعدم التنازع، لا يعني أن كلّ فردٍ منهم صار نسخة عن الآخر، بل إنهم التزموا بمجموعة من الأمور رفعتهم إلى هذا المستوى، على رأسها:

١. نَبَذُ الخلود إلى الأرض، فما عادوا أفراداً ماديين، تُحرّكهم

المادّة، وتُحدّد معالم علاقاتهم، وماهيّة مشاعرهم، وطبيعة قراراتهم: (حب الدنيا رأس الفتن، وأصل المِحن)... الإمام علي.

٢. نُكران الذات، والتخلّي عن الأنانية، والإيثار، وتوطين النفس على التضحية من أجل الصالح العام: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ٩﴾ [سورة الحشر].

٣. الالتزام بالقيم الأخلاقية في تعاملاتهم، فصدّقوا في القول والعمل، وكانوا أمناء مجتمعاتهم: (لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم وصومهم، وكثرة الحج والمعروف، وطننتهم بالليل، ولكن انظروا إلى صدق الحديث، وأداء الأمانة)... النبي الأكرم.

٤. تجنّب الجدال السلبي: (ثمرة المراء: الشحناء)... الإمام علي.

٥. حُسن الظن ببعضهم البعض: (مَنْ حَسَنَ ظَنُّهُ بِالنَّاسِ، حَازَ مِنْهُمْ الْمَحَبَّةَ)... الإمام علي.

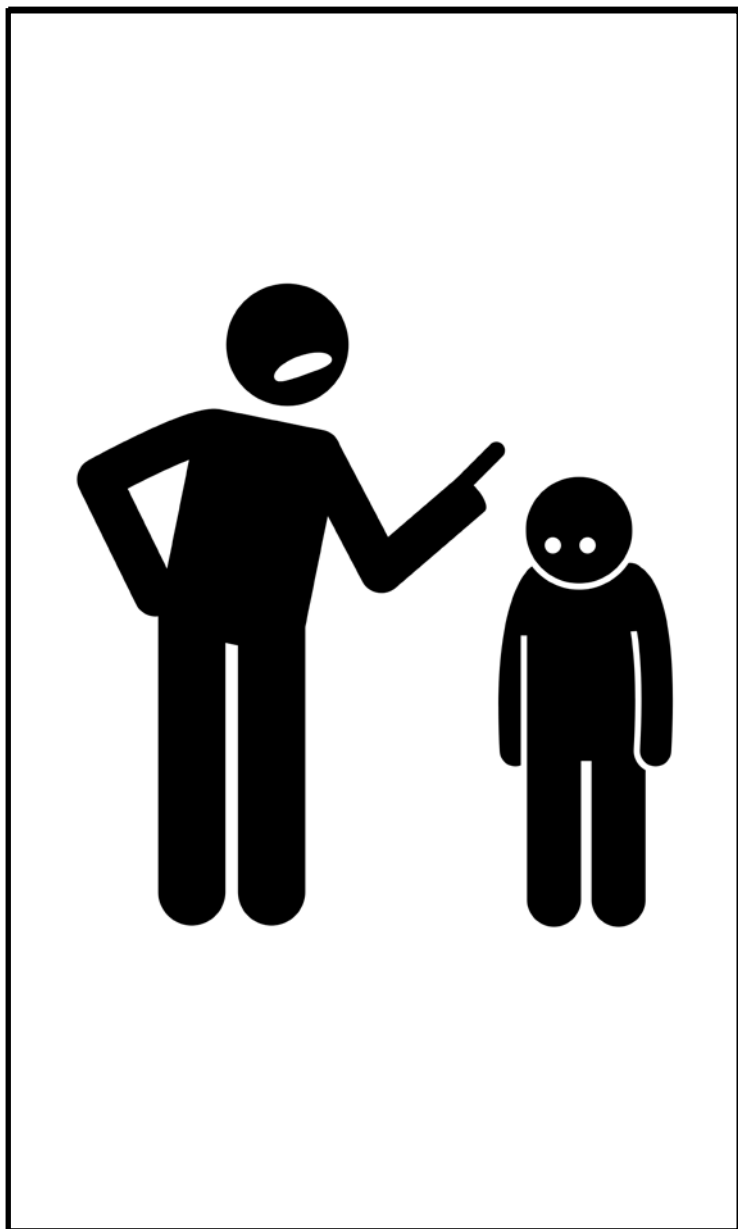
٦. المبادرة إلى إصلاح ذات البين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ... ١٠﴾ [سورة الحجرات].



يتعامل البعض مع النصوص المروية كتعامل جهاز التسجيل مع الصوت الصادر عما حولها، تحفظه، ولكنها لا تفهم محتواه، ولا تُحلّل مضامينه. وقد نبّه الإمام علي عليه السلام إلى هذا الخلل حيث قال: (لا خَيْرَ في علمٍ ليس فيه تفهّم، ولا خَيْرَ في قراءةٍ ليس فيها تدبّر، ولا خَيْرَ في عبادةٍ ليس فيها تفقّه)، وهي دعوة للتمييز بين ما هو حق، وما هو باطل، وما هو مزيج من الاثنين، وأهمية عرض النصّ على المعايير اللازمة بغرض تقييمه، ودراسة ظروف صدوره، وعلاقته بسائر النصوص المتعلقة بالموضوع نفسه.



كما نبّه أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى بعض الأسباب الموجبة للعناية بتمحيص النصوص والتدبر فيها، حيث قال: (إنّ في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعاماً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد كُذِبَ على رسول الله ﷺ في حياته كذباً كثيراً حتى قام خطيباً فقال: أيّها الناس، قد كُثِرَ عليّ الكذّابة، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. وكذلك كُذِبَ عليه بعده. إنما أتاكَ بالحديث أربعة ليس لهم خامس، رجلٌ منافقٌ يُظهر الإيمان متصنّع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرّج أن يكذب على رسول الله ﷺ متعمداً... والثاني رجلٌ سمِعَ من رسول الله ﷺ شيئاً ووهم فيه ولم يحفظه على وجهه ولم يتعمّد كذباً.... والثالث رجلٌ سمع من رسول الله ﷺ أشياء أمر بها ثم نهى عنها، وهو لم يعلم النهي، أو نهى عن شيء ثم أمر به، ولم يعلم الأمر، حَفَظَ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ... والرابع رجلٌ لم يكذب على الله وعلى رسوله، يُبْغِضُ الكذب خوفاً من الله، وتعظيماً لرسوله ﷺ ولم يتوهم ولم ينس، بل حفظ ما سمع، فجاء به على وجهه، لم يزد فيه ولم ينقص... إلخ).





عندما يكذب أحد أطفالنا، نبادر بشكل عفوي ونقول له:
 (لا تكذب، مَنْ يكذب يدخل النار)!! لهذه العبارة تأثيرات
 سلبية عدّة محتملة أو إichاءات غير محبّبة تربويّاً، ولربما تؤثر
 لاحقاً على المستوى الإيماني أيضاً، ويمكن تلخيصها في التالي:

(١) تجعل صورة الله ﷻ في وعي الفرد صورة الموجود المخيف
 الذي يتربّص بعباده آيّة زلّة ليسبقهم بعذابهم ويجب أن يرى
 عباده يتألّمون.

(٢) تُخْرِجُ حُبَّ اللَّهِ مِنَ الْقَلْبِ.

(٣) تعمل على إلغاء تأثير ودلالة (بسم الله الرحمن الرحيم) في وعي الإنسان.

(٤) تؤصّل حالة اليأس من الرحمة الإلهية حين يُقْبَلُ الفرد على التوبة بعد تماديه في المعصية.

(٥) تدفع نحو التفسير المتسرّع لبعض المشكلات والصعوبات التي يواجهها الفرد على أنها نوع من العذاب أو العقاب، وهذا بدوره يخلق شخصية قلقة متردّدة، أو يدفع إلى التمرّد على العقيدة وإنكار وجود الإله، وهو ما نجده في كلمات بعض من أُلْحِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حيث اعتبروا أن التربية الدينية قائمة على التهديد والتخويف، وأنها تخلق شخصية معقّدة، لا تستطيع أن تنطلق في الحياة بصورة تلقائية سوية.

فلنقدّم الله إلى الناس بما قدّم به نفسه إذ قال: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ٥٠﴾ [سورة الحجر]، فقدّم المغفرة والرحمة، ونسبها إلى نفسه، وأخّر صفة العذاب ونسبها إلى فعله، في إشارة بليغة ولطيفة إلى أن الرحمة تلائم ذاته أكثر مما تلائمها صفة العذاب.

٤٨

محاذير الوصية



قال الله ﷻ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ١٨٠﴾ [سورة البقرة].

وعن النبي الأكرم ﷺ: (ما ينبغي لامرئ مسلم أن يبيت ليلته إلا ووصيته تحت رأسه).

الوصية في حد ذاتها مستحبة، ولكنها قد تُصبح واجبة فيما لو ظهرت للإنسان علامات الموت، وفي ذمته حقوق للناس، أو



مسؤوليات شرعية لم يؤدّها، كالكفّارات، والخمس، والزكاة، وأمثال ذلك. وإن لم يكن للإنسان وليٌّ يقضي عنه ما عليه من الواجبات البدنية مما يصح فيها الاستنابة والاستئجار، كقضاء الصلاة والصوم، وجب عليه -أيضاً- أن يوصي بأن يُستأجر عنه. ويحقُّ للفرد -دون إلزام- أن يوصي -كحدّ أقصى- بثلث ما يملك، وإذا كان ذلك سيؤدّي إلى أن يُخلّف ورثته في حاجة ماديّة، فإن الترك أفضل.

كما قد يضع الموصي ورثته في حرج أو في وضع -مالي واجتماعي- صعب حين يوصي بالثلث من كلّ ما يملك، ليشمل بذلك البيت الذي تسكن فيه الأسرة، والمركبة، والأثاث... إلخ القائمة، وهو ما قد يضطرّهم إلى بيع كل ذلك من أجل تنفيذ هذه الوصية. ولذا يُنصح بأن تكون الوصية محدّدة في المقدور، أو أن يُعيّن ثلثه في مُلك محدّد.

ويُنصح بأن يُحدّد الموصي موارد صرف الثلث -أو ما أقل- بشكل واضح وبما يتطابق مع مراده، فعنوان (الفقراء) على سبيل المثال يختلف عن عنوان (في وجوه البر) أو (في سبيل الله)، ولذا من الراجح مراجعة أهل الاختصاص عند كتابة الوصية.



استقالة وزيرة



قبل بضع سنوات، قدّمت وزيرة في السويد استقالتها من الحكومة بعد أن أُدينَت بسبب ملء خزان سيارتها الخاصة بالبنزين بنحو ٦٠ دولاراً من بطاقة بنكية مُنحت لها لإنجاز المهام الرسمية. الوزيرة أكّدت أنها نسيت بطاقتها الخاصة، واضطرت لاستعمال البطاقة الحكومية، وأثبتت بالوثائق أنها أعادت المبلغ في اليوم التالي دون أن يطلب ذلك منها أحد... ولم يشفع لها ذلك، وتقرّر أن تصرفها بمنزلة استغلال للمال العام.

لو تساهل القانون السويدي مع تلك الوزيرة فلربما وجدنا السويد التي تحتل المرتبة ٦ في مؤشرات الفساد -بعد سنين قلائل- تُنافسُ الدول العربية والإسلامية على مراتبها المتأخرة في هذه المؤشرات.

فماذا في تراثنا الإسلامي حول الموقف الإسلامي من فساد المسؤولين، ومن العدالة الاجتماعية، ومساواة الجميع أمام القانون؟

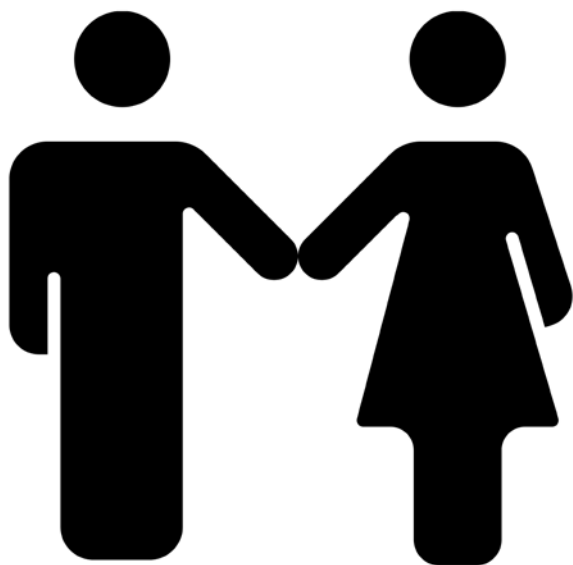
في عهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر قال: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ) ولن تصير مضرب المثل في الازدهار والتعایش وقوة الجبهة الداخلية (لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعَتِّعٍ).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (قال أمير المؤمنين عليه السلام لعمر بن الخطاب: ثلاثٌ إِنْ حَفِظْتَهُنَّ، وَعَمِلْتَ بِهِنَّ، كَفَتْكَ مَا سِوَاهُنَّ؛ وَإِنْ تَرَكْتَهُنَّ لَمْ يَنْفَعَكَ شَيْءٌ سِوَاهُنَّ. قال: وما هنَّ يا أبا الحسن؟ قال: إقامة الحدود على القريب والبعيد، والحكم بكتاب الله في الرضا والسُّخْط، والقَسَمُ بالعدل بين الأحمر والأسود. قال عمر: لَعَمْرِي لقد أوجزت وأبلغت).



الروح والعاطفة والمودة وانعكاساتها هي التي تفيض الحياة والحيوية على بيت الزوجية. ومن هنا نجد الزهراء عليها السلام تقنع - كما جاء في شواهد عدة من سيرتها العطرة - بالحياة البسيطة، وتصبر على التعب، ولا تدخل مع زوجها في مقايضات الحقوق والواجبات كي تحصل على ما تريد، على خلاف ما نشهده اليوم في بعض الخلافات الزوجية.

وحقّ بالزوجة إن كانت بهذه الصورة من الصبر والتفاهم



والقناعة أن يقول فيها زوجها: (ولقد كنتُ أنظرُ اليها فتنبلي عني الغمومُ والأحزانُ بنظرتي إليها).

وفي المقابل، نجد علياً عليه السلام مع كل انشغالاته ومسؤولياته المتعددة خارج المنزل، يُبادر لإعانة الزهراء عليها السلام في مسؤولياتها المنزلية، بل ويؤثر أن يتعب هو لتستريح هي من العناء.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (كان أمير المؤمنين عليه السلام يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز).

لم ينظر علي عليه السلام -وهو يُعين زوجته في الأعمال المنزلية- إلى منظومة الحقوق والواجبات، فأعانها لأنه وجد نفسه ملزماً شرعاً بذلك، ولم يدخل في عملية مقايضة معها، فبقدر ما تُعطيه يُعطيها، بل كان تصرفه منطلقاً من أحاسيسه وأخلاقه.

وحق النبي صلى الله عليه وآله ما كان يستنكف أن يُعين هذين الزوجين، فقد دخل ذات مرة بيت علي، فوجده وفاطمة يطحنان في (الجاروش)، أي الرحي، فقال لهما: (أيكما أعيتي؟) من منكما يشعر بالتعب والإجهاد؟ (فقال علي: فاطمة يا رسول الله. فقال: قومي يا بنية. فقامت وجلس النبي صلى الله عليه وآله موضعها مع علي عليه السلام فواساه في طحن الحب).



المساواة ظلم



قرآنياً، الرجل والمرأة متساويان في الحقيقة الإنسانية.. أي ليست المرأة كائناً أقل إنسانية من الرجل، بل بمقدار ما هو إنسان، هي إنسان.. على خلاف أرسطو -مثلاً- الذي اعتبر أن الرجل: (هو الذي يأمر دون المرأة، كما أن الكائن الأكبر والأكمل هو الذي يتأمر على الأصغر والأنقص).

ومن آثار هذا التساوي بينهما في الإنسانية -بحسب القرآن- تساويهما في نتيجة العمل الصالح في الآخرة: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحاً

مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ [سورة النحل].

نعم، التمايز الجسدي الواضح بينهما -والذي يأتي بغرض تحقيق التكامل في الحياة- يؤدي إلى التباين الوظيفي والتشريعي: عبادياً: عدم التكليف بالصلاة والصيام أثناء فترة الطمث، وإعفائها من الصيام إن ثَقُلَ بها الحمل وأتعبها... إلخ.

مالياً: حقّها في المهر دون الزوج، وعدم إلزامها بالنفقة على الأسرة وإن كانت أغنى من زوجها... إلخ.

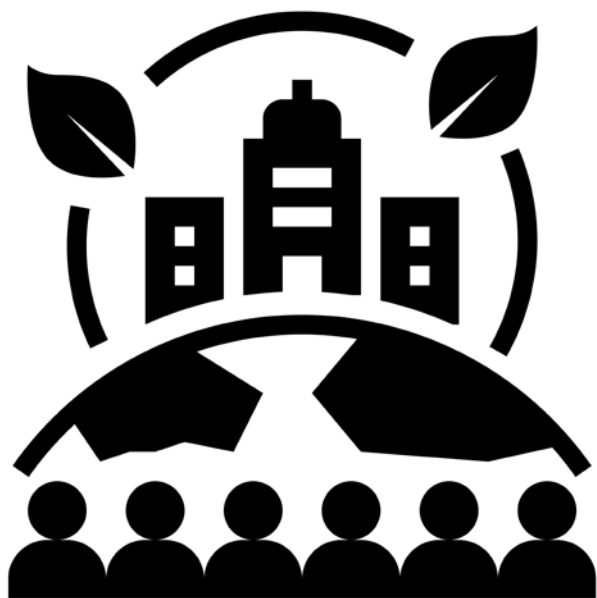
عملياً: عدم تكليفها بالقتال في ساحات الحروب، وحضور صلوات الجمعة والعيدين... إلخ.

ومن هنا، فإن القرآن لا يتبنّى المساواة المطلقة بين الجنسين، بل العدالة بينهما، أي المساواة في ما تجب فيه المساواة، والتمييز فيما يجب فيه لتمييز، لأن المساواة في غير مكانها ظُلم، والتمايز لا يعني أفضلية طرفٍ على آخر، بل يعني أنّ لهذا الجنس خصائص ولذلك الجنس خصائص أخرى، فلكلّ طرفٍ وظيفته، ومتى ما عملنا خلاف ذلك، خالفنا الفطرة... ولمخالفة الفطرة نتائج سلبية لا تُحمد عُقباها.

فضيلة السلطان



عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: (فضيلة السلطان عمارةُ البلدان). في الاصطلاح الإسلامي يُطلق على التنمية عنوان عمارة البلدان، لأن العمارة نقيض الخراب، ولذا فإنَّ عمارة البلدان هي كل عمل يتمُّ من خلاله تحقيق ما من شأنه تيسير حياة الناس، وتحسين أحوالهم الاقتصادية، والصحية، والثقافية، والاجتماعية، وما إلى ذلك، وهذه هي التنمية.



والنص السابق يؤكد على أمرين:

الأول: أن الإسلام لا يعتني فقط بالتنمية الدينية والعبادية للفرد وللمجتمع، بل ويهتم بالتنمية بكافة مناحي الحياة.

الثاني: أن التنمية من المقاييس الرئيسة لتقييم أداء السلطة إيجاباً وسلباً.. فكلما ارتفعت مؤشرات التنمية، كلما ارتفع مستوى نجاح السلطة، والعكس صحيح.

وقد روى المؤرخ اليعقوبي في تاريخه أنّ علياً عليه السلام كتب رسالة إلى عامله على فارس، الصحابي قُرْظَة بن كعب الأنصاري جاء فيها: (أما بعد، فإنّ رجالاً من أهل الذمة من عمّلك) أي ممن هم تحت سلطته (ذكروا نهراً في أرضهم قد عفا وادّفن، وفيه لهم عِمارةٌ على المسلمين) أي من حقّهم على المسلمين أن يعمرُوا لهم ذلك النهر (فانظر أنت وهم، ثم اعمر وأصلح النهر؛ فلعمري لأنّ يعمرُوا أحبّ إلينا من أن يخرجوا وأنّ يعجزوا أو يقصّروا في واجب من صلاح البلاد. والسلام).

وهذا يعني أن الناس -في المنظور الإسلامي- سواسية في أمر التنمية، ومن مسؤوليات الدولة أن تُحقّق ذلك للجميع دون النظر إلى أديانهم وملتبّياتهم.



الموازين القسط



كُلُّ إنسان يولد بمميّزات وصفات وسمات تختلف حتى عن أخيه التوأم، وهذه المميزات والصفات الخاصة بكلّ فرد تأثير على تفكيره، وتصرفاته، وسلوكياته، وردود أفعاله.

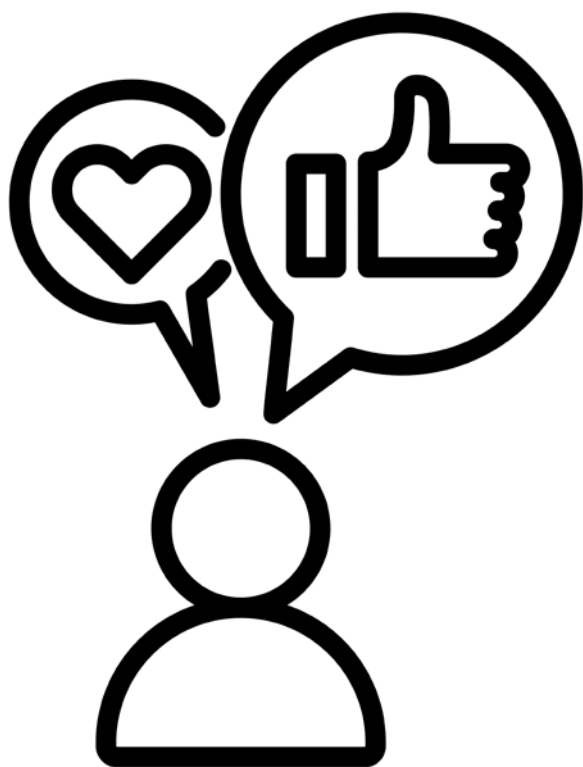
مثلاً.. يولّد فرد يحمل جيناتٍ تجعله سريع الغضب والانفعال.. ويولّد آخر يحمل جيناتٍ تجعله هادئ الطبع، بارد المزاج. ولا يصحّ أن نتصوّر أن الله -الذي لا يظلم الناس شيئاً- قد يحاسب هذين الفردين بمعيار واحد في ما لو صدر عنهما ردُّ فعل متماثل في لحظة غضب أو انفعال؟ كما لا يُعقل أن يُحاسب

الله ﷻ الشاب الذي أخطأ فرني، كما يحاسب مَنْ شابَ وتقدّم به العمر إن ارتكب مثل ذلك؟ وفي قول النبي ﷺ: (ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ) دلالة على هذا الاختلاف، إذ لا يمكن إغفال الدور المؤثر لعنفوان الشباب وشدة القوة الغريزية دون الرجل كبير السن، دون إعفاء أيٍّ منهما من تبعات هذه المعصية. ثم إنّ الفرد الواحد تختلف ظروفه وقدراته من مرحلة إلى أخرى، ومن عمر إلى آخر، ومن مكان إلى آخر.

وإذا كان أمرُ الحساب في الآخرة يتميّز بهذه الدقة على مستوى الأخذ في الاعتبار كلّ العوامل المؤثرة في أفعال الناس وتروكهم، وهو جانب من مدلول قوله ﷻ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ٤٧﴾ [سورة الأنبياء]، فإنّ هذا يجعلنا أمام حقيقة لا لبس فيها، وهي أن ليس من حقنا إصدار الأحكام حول مصائر الناس في الآخرة، فالموازين لا يعلمها إلا الله.



حيث تستحكم المادة وتستحوذ على الإنسان حتى في تقييمه
 لنفسه وللآخرين، لتكون هي معيار النجاح والفشل، والفوز
 والخسارة، والسعادة والشقاء، ولتختصر الخير في المادة فقط،
 أكّد الإمام علي عليه السلام أنّ مفهوم الخير أشمل من ذلك، وأنّ بعض
 عناوين الخير ومفرداته غير المادّية مقدّمة رُتبةً على مفردات
 وعناوين الخير المادّي.



وقد (سُئِلَ عَنِ الْخَيْرِ مَا هُوَ؟ فَقَالَ: لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ، وَلَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ، وَأَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ وَأَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ).

والمباهاة هنا ليست بمعنى الترفع على الناس والتكبر، بل بالمعنى التالي: (فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدَتِ اللَّهُ، وَإِنْ أَسَأْتَ اسْتَغْفَرَتِ اللَّهُ، وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا لِرَجُلَيْنِ، رَجُلٍ أَذْنَبَ ذُنُوبًا فَهُوَ يَتَذَارَكُهَا بِالتَّوْبَةِ، وَرَجُلٍ يُسَارِعُ فِي الْخَيْرَاتِ).

ويمكن اكتساب خلال الخير -أيضاً- عن طريق الأجواء التي يعيشها الإنسان، تماماً كما أن خلال الشر تُكتسب في هذه الأجواء نفسها إن عمَّ فيها الشر، قال ﷺ: (جَالِسُ أَهْلِ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ.. اطْلُبُوا الْخَيْرَ وَأَهْلَهُ).

وإذا ظنَّ بك الناس خيراً في أمرٍ ما.. على المستوى الأخلاقي، أو العبادي، أو المعرفي أو السلوكي أو غير ذلك.. ولكنك تعلم من نفسك أنك لست كذلك.. فليكن حُسْنُ ظَنِّهِمْ بك دافعاً لأن تكون كما ظنّوا، ليكون ذلك سبباً لنموِّ خصلةٍ من خصال الخير في نفسك وأعمالك، قال ﷺ: (وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْرًا فَصَدَّقْ ظَنَّهُ).





روى الشيخ المفيد في (الإرشاد) وفود رجلين من بني أسد على الإمام الحسين عليه السلام حيث أخبراه -وهو في طريقه إلى الكوفة- عما جرى لمسلم بن عقيل فيها: (... فجئناه حين نزل، فسَلَّمنا عليه، فردّ علينا السلام، فقلنا له: رحمك الله، إن عندنا خبراً، إن شئت حدثناك علانية، وإن شئت سراً، فنظر إلينا وإلى أصحابه ثم قال: ما دون هؤلاء ستر)... ثم ارتحل الركب حتى نزلوا منطقة (زُبالة).

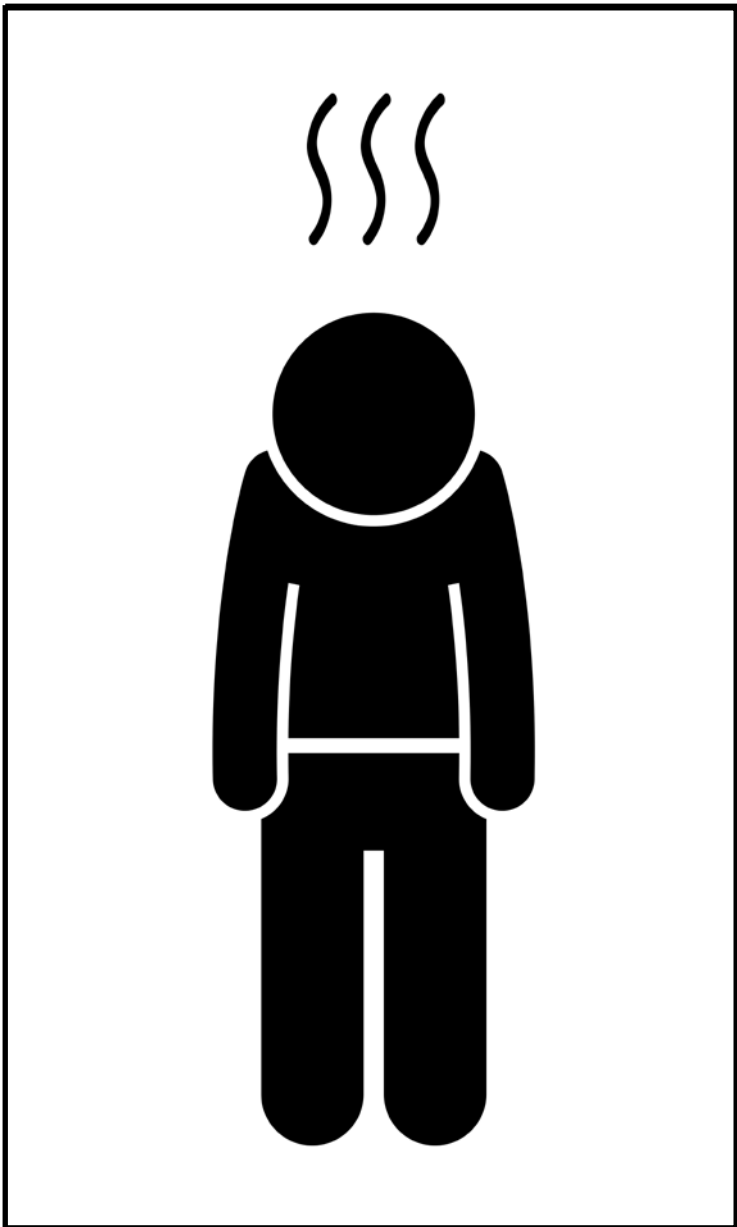
(فأتاه خبر عبد الله بن يقطر) وكان حامل رسالته إلى الكوفة، فألقي القبض عليه وقتله ابن زياد (فأخرج إلى الناس كتاباً فقرأه عليهم: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإنه قد أتانا خبر فظيع، قُتل مسلم بن عقيل، وهانيء بن عروة، وعبد الله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتنا) أي الذين وعدونا بالنصرة (فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف غير حرج، ليس عليه ذمام) أي لن أطالب الذين يختارون الانصراف بشيء.

هذا مشهد ومشهد آخر في ليلة العاشر من المحرم حين جمع الإمام الحسين عليه السلام كل أصحابه وأهل بيته وقال لهم: (اللهم إني لا أعرف أهل بيت أبر ولا أزكى ولا أطهر من أهل بيتي، ولا أصحاباً هم خير من أصحابي، وقد نزل بي ما قد ترون، وأنتم في حل من بيعتي ليست لي في أعناقكم بيعة، ولا لي عليكم ذمة، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً).

هكذا كان الإمام الحسين عليه السلام صريحاً وواضحاً في بيان حقيقة الأوضاع وحراجه الموقف، وأعطى أنصاره الحرية في اتخاذ الموقف الذي يرتأونه، هكذا كان الحسين قائداً، وهكذا يجب أن يكون القادة مع أتباعهم وأنصارهم.



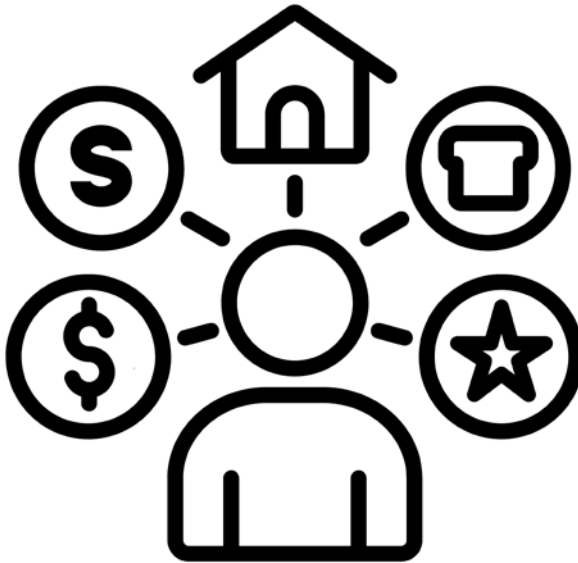
عندما نمرض، فإننا -غالباً- ما نتوجّه في دعائنا لطلب الشفاء العاجل، وهذا منطقي.. إلا أن الإمام زين العابدين عليه السلام يُعطي لدعائه المروي في الصحيفة السجادية -إذا مرض- أبعاداً أخرى تربوية وروحية وأخروية، قال: (اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا لَمْ أَزَلْ أَتَصَرَّفُ فِيهِ مِنْ سَلَامَةٍ بَدَنِي، وَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَحْدَثْتَ بِي مِنْ عِلَّةٍ فِي جَسَدِي).



فَمَنْ يَكُونُ مُصَاباً فِي إِحْدَى جَوَارِحِهِ، فَإِنَّ سَائِرَ جَوَارِحِهِ مَا زَالَتْ تَعْمَلُ... والتركيز على الجانب المريض أو المصاب، والتغافل عن الإيجابيات التي ما زال ينعم بها، قد يُغرقه في آلامه، ويبعث على التشاؤم، ويُضعف من عزيمته على مقاومة المرض... ولا شك أن الحالة النفسية الإيجابية للمريض مهمة جداً.

ومن هنا نجد الإمام عليه السلام في مقطع لاحق يعبر عن رضاه بما قُسم له، لا بمعنى الاستسلام للمرض، بل بمعنى عدم اليأس من الشفاء، ومواجهة المرض بعزيمة وقوة روحية، والتطلع إلى ما قد يترتب عليه من إيجابيات، والرحمات الإلهية التي خصّها بالمرضى، كغفران الذنوب واستجابة الدعاء.

قال عليه السلام: (.... تَخْفِيفاً لِمَا تُقَلُّ بِهِ عَلَى ظَهْرِي مِنَ الْخَطِيئَاتِ، وَتَطْهِيراً لِمَا انْغَمَسْتُ فِيهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَتَنْبِيهاً لِتَنَاوُلِ التَّوْبَةِ، وَتَذْكِيراً لِمَحْوِ الْحَوْبَةِ بِقَدِيمِ، التَّعْمَةِ، وَفِي خِلَالِ ذَلِكَ مَا كَتَبَ لِي الْكَاتِبَانِ مِنْ زَكَاةِ الْأَعْمَالِ، مَا لَا قَلْبٌ فَكَّرَ فِيهِ، وَلَا لِسَانٌ نَطَقَ بِهِ وَلَا جَارِحَةٌ تَكَلَّفَتْهُ بَلْ إِفْضَالاً مِنْكَ عَلَيَّ، وَإِحْسَاناً مِنْ صَنِيعِكَ إِلَيَّ. اللَّهُمَّ فَصِّلْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَحَبَّبٍ إِلَيَّ مَا رَضِيتَ لِي، وَيَسِّرْ لِي مَا أَحَلَلْتَ لِي).





أعجبني ما جاء في إحدى السلاسل التعليمية التربوية الخاصة بالأطفال، وهي مترجمة من الفرنسية إلى العربية، إذ عرّضت فكرة الفرق بين (الحاجة) و (الرغبة) في صورة قصة قصيرة وحوار بين فتاة صغيرة مع أبيها... هذه الفكرة التي لربما هي غائبة عن أذهان الكثيرين في عالم بُني على ثقافة الاستهلاك. تقف الفتاة الصغيرة أمام معرض اللوازم المدرسية، فتختار حقيبة وردية اللون ولها جيوب بشكل قلب، وتضعها في سلة

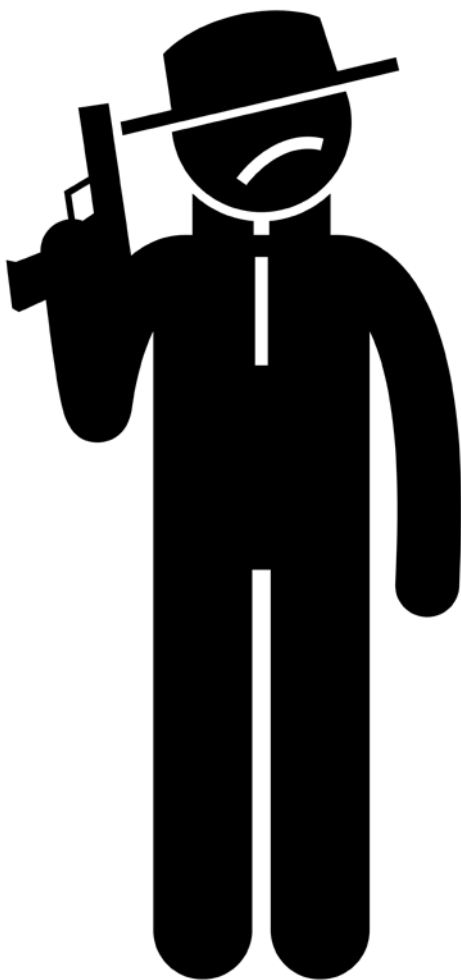
التسوّق... وعندما يعترض والدها تقول: (إنني بحاجة إلى هذه الحقيبة)، بينما ينبّهما والدها إلى الفرق بين الحاجة والرغبة قائلاً: (أنتِ ترغين في حقيبة كتب جديدة، لكن لا تحاولي إقناعنا بأنك بحاجة إليها)... هذه الثقافة الاقتصادية مهمة جداً.. لاسيما ونحن نواجه هجمات دعائية استهلاكية عالمية شرسة، وكثيراً ما نقع ضحايا لها.

(أنا أحتاج)... يعني أن هذه السلعة أو هذه الخدمة بالنسبة لي ضرورية، ومن الصعب الاستغناء عنها... فأنا أحتاج إلى هذا الدواء لأنه يرتبط بصحتي، وأحتاج إلى هذا الحذاء لأن الحذاء السابق أصبح مهترئاً، وأحتاج إلى نظارة جديدة لأن التي أستعملها قد تهشّمت... أما (الرغبة) فلا ترتبط بالضروريات، بل قد تكون مُتعلّقة بشيء من الكماليات التي يمكن الاستغناء عنها، أو مجرد إضافة أخرى جديدة إلى قائمة ما عندي من نفس السلعة، ولربما أستبدل بها غرضاً ما زال يؤدّي المطلوب منه... وهو ما قد يدخل في ما حذّر الله ﷻ منه حيث قال: ﴿... وَلَا تُبَدِّرْ تَبْدِيرًا ۚ ٢٦ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۚ ٢٧﴾ [سورة الإسراء].



في سنة ٢٠٠٤ صدر كتاب بعنوان Confessions of an Economic Hit Man وترجمته الحرفية «اعترافات قاتل اقتصادي»، ونُشر بعنوان (الاغتيال الاقتصادي للأمم)، للخبير الاقتصادي الأمريكي (جون بيركنز).

يُعرّف الكاتب القتلة الاقتصاديين بأنهم: (رجال محترفون يتقاضون أجراً عالياً لخداع دول العالم بابتزاز ترليونات الدولارات لصالح بعض الشركات الأمريكية الضخمة).



في هذا الكتاب، يتحدّث المؤلف عن كيفية خَلْق هؤلاء (القتلة/الخبراء) في عالم الاقتصاد ظروفاً تؤدي إلى خضوع الدول النامية لهيمنة منظومة الشركات الكبرى في العالم، من خلال إغراقها بالديون -بذريعة التنمية- وبطريقة تدفعها إلى التعرّث بعد بضع سنوات، وعندئذ تُفرض عليها شروط سياسية وسيادية وأمنية واقتصادية وثقافية وغير ذلك.

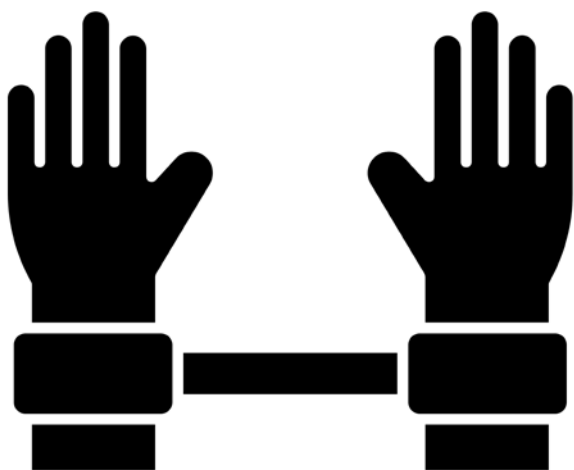
وهي الصورة التي لا تختلف كثيراً عن صورة الأفراد الذين يقعون فريسة دعايات البضائع الاستهلاكية فيستسلمون لرغباتهم، ولا يفرّقون بينها وبين الحاجة، فتتراكم عليهم الديون التي قد:

(أ) تؤدّي ببعضهم إلى السجن.

(ب) وقد تُدمّر الأسرة.

(ج) وتدفع إلى المكاسب المحرّمة.

(د) وتوقع أصحابها فريسةً للمحتالين ممّن يَعُدّون بأرباح سهلة وسريعة.



النبي والأسرى



من السمات الواضحة في شخصية النبي ﷺ البُعد الإنساني من جهة، و(الذكاء العاطفي/الاجتماعي) أي الحسّ المرهف الذي كان يتمتع به تجاه الناس من جهة أخرى.

وبذلك أحدث النبي ﷺ في الناس من حوله انقلاباً كبيراً في البُعدين النفسي والاجتماعي، لا من خلال الكلمة والموعظة فحسب، بل من خلال سيرته العملية أيضاً، مع المسلمين وغيرهم، بل ومع مَنْ يُتَوَقَّع أن يقسو عليهم وينتقم منهم.

ومن ذلك ما رواه أبو عزيز بن عُمر -وهو أخو الصحابي مصعب بن عُمر- قال: (كنت في الأسارى يوم بدر) إذ قاتل مع المشركين حينئذ (فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» ﷺ: استوصوا بالأسارى خيراً)، ثم روى كيف تصرف المسلمون مع أسراهم تطبيقاً لهذه الوصية، قال: (... وكنتُ في رهطٍ من الأنصار حين أقبلوا بي من بدرٍ، فكانوا إذا قدّموا غداءهم وعشاءهم، خصّوني بالخبز، وأكلوا التمر؛ لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا) والخبز عندهم أفضل طعاماً (ما تقع في يد رجلٍ منهم كِسرةُ خبزٍ إلا نفخني بها) أهداني إياها (قال: فأستحيي، فأردّها على أحدهم، فيردّها عليّ، ما يمسّها).

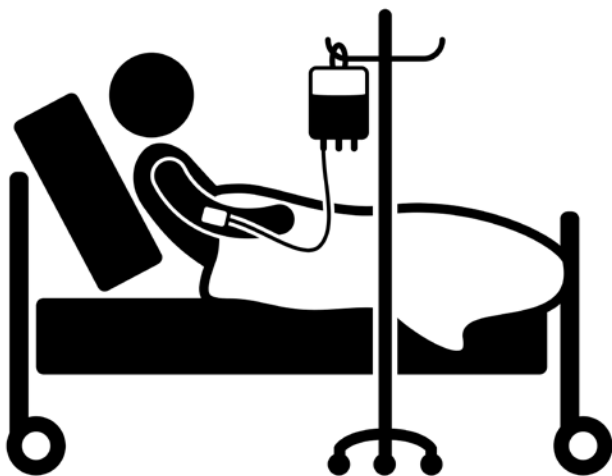
وفي رواية الزُّهري: (وكان الوليد بن الوليد بن المغيرة يقول مثل ذلك، ويزيد: بل وكانوا يحملوننا ويمشون).

وكان من بين الأسرى في يوم بدر الشاعر أبو عزة الجُمحي الذي كان يؤلِّب ضد النبي والمسلمين، فقال للنبي ﷺ: (لي خمسُ بناتٍ، ليس لهنَّ شيء، فتصدّق عليهنَّ يا محمد، أعطيك موثقاً لا أقاتلُك، ولا أكثرُ عليك أبداً). فقَبِلَ النبيُّ كلامه وأطلقه، في لفظة إنسانية نادرة، ولكنه رسول الرحمة... محمد!



روى الشريف الرضي - في الحكمة برقم ٤٢ من نهج البلاغة -
 دعاءً لأمير المؤمنين علي عليه السلام قاله لبعض أصحابه، وأوله: (جَعَلَ
 اللَّهُ مَا كَانَ مِنْ شُكُوكِكَ حَطًّا لِسَيِّئَاتِكَ).

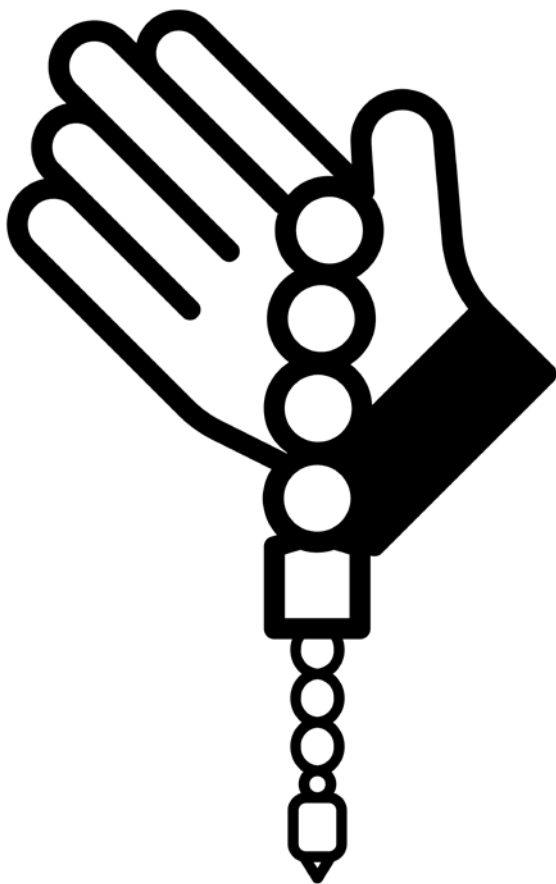
ولهذا الدعاء قصّة ذكرها بعض المؤرخين وشارحي نهج البلاغة،
 وفيها أن الإمام وأصحابه اجتازوا معسكر النخيلة في طريق
 عودتهم من معركة صفّين، فشاهدوا رجلاً كبيراً في السنّ جالساً
 في ظلّ بيت، على وجهه أثر المرض، فأقبل إليه الإمام وسلّم عليه



فردّ ردّاً حسناً. قال له الإمام: (أرى وجهك منكفئاً) متغيّراً (فمن مَه؟ أَمِنْ مرض؟ قال: نعم. قال: فلعلك كرهته؟ قال: ما أحب أنه بغيري) أي ما أتمناه لأحد، فكيف لا أكرهه؟ (قال: أليس احتساباً بالخير فيما أصابك منه؟) ألا تتأمل شيئاً من الخير بصبرك على المرض؟ (قال: بلى. قال: فأبشّر برحمة ربّك، وغفران ذنبيك) ثم سأله الإمام عن اسمه، وهل كان من أفراد جيشه في صفّين، فأخبره أنه [صالح بن سليم] من قبيلة طيء، وقال: (لا والله، ما شهدتُها، ولقد أردتُها، ولكن ما ترى من أثرٍ لحبّ الحُمّى خذلني عنها. فقال: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٩١﴾...).

ثم دعا له الإمام ﷺ، وهو الدعاء الذي نقله الشريف الرضي في نهج البلاغة، ثم قال له: (وَإِنَّ اللَّهَ «سبحانه» يُدْخِلُ بِصَدَقِ النَّبِيِّ وَالسَّرِيرَةِ الصَّالِحَةِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْجَنَّةَ).

هكذا هي رحمة الله ﷻ بعباده، والمهم في المقام أن يصدق المؤمن في نيّته، ليكون عُرضة لرحمة كهذه فيأضه يتطلّع إليها كل إنسانٍ في الآخرة.



طاقة التسبيح



﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ
وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ
تَرْضَىٰ﴾ [سورة طه].

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [سورة غافر].

وفي أجواء غزوة الأحزاب والتحديات الخارجية والداخلية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ٤٢﴾ [سورة الأحزاب].

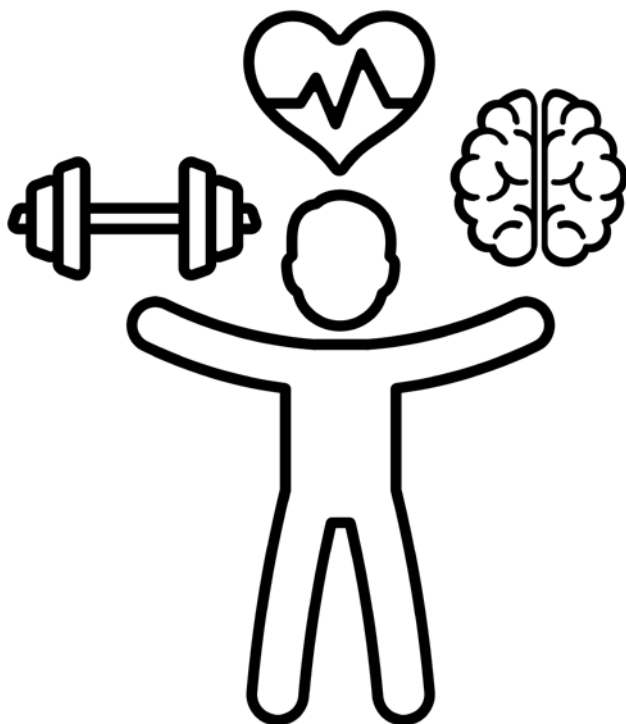
بل في القرآن الكريم ما يدل على أنّ من ضمن غايات إرسال النبي ﷺ أن يقوم المؤمنون بالتسبيح: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ٨ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ٩﴾ [سورة الفتح].

وتتوالى الآيات القرآنية -بما في ذلك الآيات التي تعرّضت لسيرة الأنبياء كموسى ويونس وزكريا- لتؤكد حقيقة دور تسبيح الله ﷻ في مدّ الإنسان بالصبر الجميل والطاقة الهائلة التي يستطيع من خلالها أن يحصّن نفسه ويبادر بالاستعداد لمواجهة الظروف العصيبة، وأن يهوّن على نفسه وقّعها متى ما نزلت به، وجانب من السرّ وراء ذلك أن عظمة الله ﷻ في النفس تُعطي قوة للإنسان من خلال حالة الطمأنينة التي يعيشها، فليس هناك من موجود يستطيع أن يعترض إرادة الله، وليس هناك من مخلوق يستطيع أن يغلب الله، وليس من شيء يغيب عن الله.. وهذا التعظيم يحتاج إلى ترسيخ، والتسبيح المستمرّ لله ﷻ يقوم بهذه المهمة.

أبعاد الصحة



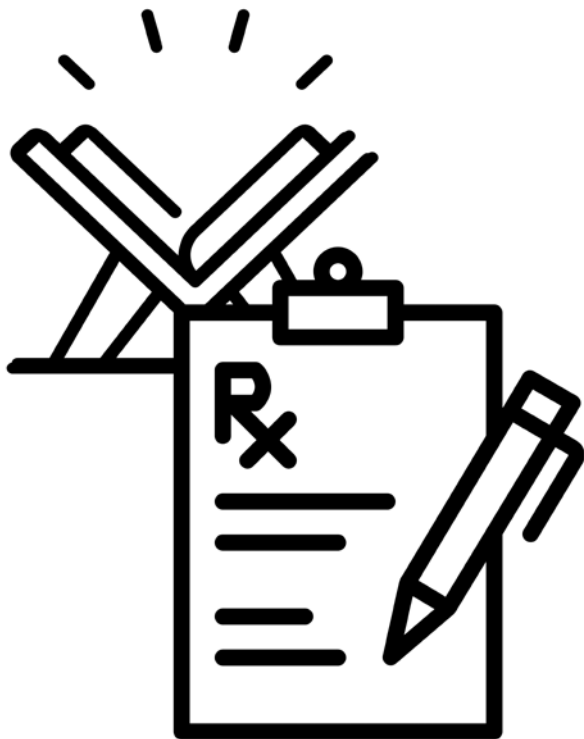
هناك ثلاثة أبعاد لصحة الإنسان: صحة الجسد، وتقابلها أمراض من قبيل أمراض الكلى وضغط العين، والصحة العقلية، وتقابلها أمراض من قبيل الفصام والحُرف، والصحة النفسية، وتقابلها اضطرابات القلق والاكتئاب النفسي والرُّهاب... إلخ. وتعتبر الضغوط النفسية واحدة من أكثر العوامل النفسية شيوعاً والمؤثرة سلباً على الصحة الجسدية والنفسية والعقلية. القرآن الكريم أشار إلى إمكانية أن يعيش الإنسان تحت



وطأة الضغط النفسي نتيجة المواقف الصعبة التي قد تتراكم فتكون ضخمة من حيث الكم، أو من حيث الكيف، أي بسبب نوعية تلك المواقف.

ففي سورة الحجر -على سبيل المثال- وصف لحال النبي ﷺ وهو يعيش التحديات المتزايدة، ويواجه المواقف الصعبة، خلال محاولاته المتعاقبة على مدى سنوات لإقناع قريش برسالته: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ ٩٧... وضيق الصدر هنا تعبير عن حجم الضغط النفسي الذي كان يعاني منه النبي في تلك الظروف المقترنة بالتكذيب والاستهزاء والتحقير والإهانة، وتعذيب وقتل بعض المؤمنين، وغير ذلك.

وتذكر سورة الشعراء نداء النبي موسى ﷺ حين جاءه الأمر الإلهي بالقيام بالرسالة: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ ١٢ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْظِلُّ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ١٣... لاحظ تأثير الضغط النفسي على إمكانية النجاح في أداء المهمة، وعلى أداء -اللسان- لوظائفه بالشكل المطلوب، أي أن الضغط النفسي قد يعيق فاعلية الإنسان... فما هي الوصفة القرآنية؟ سنتعرف على ذلك في الهمسة التالية.





قدّم القرآن الكريم في سورة الحجر للنبي ﷺ وصفة سماوية تهدف لتحقيق السلامة النفسية، وتتمثل بالآتي:

(١) أن يعيش الإنسان الإحساس بالثقة بالله ﷻ.. بقدرته ورحمته وعدالته وإحاطته بالأمور ليعيش الأمل والتفاؤل بالمستقبل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ٨٦ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ٩٥﴾.

(٢) عدم تقييم الأمور وفقاً لظاهرها، بل السعي لامتلاك الوعي

بسنن الله في الوجود وبفلسفة التنوع وتقلّبات الحياة: «لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ... ٨٨».

(٣) اعتماد الصفح منهجاً في التعامل مع الإساءات، وإرجاء محاسبة المسيئين إلى يوم الحساب الدقيق والعدل: «وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْغِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ٨٥».

(٤) اتخاذ خطوة اجتماعية بالتقرّب إلى الأجواء التي ينسجم معها الإنسان فكرياً أو نفسياً أو من حيث الميول وأمثال ذلك: «... وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ... ٨٨» فالتواضع مفتاح تقوية العلاقة بهم وتحقيق المزيد من الانسجام والتآلف والتلاحم.

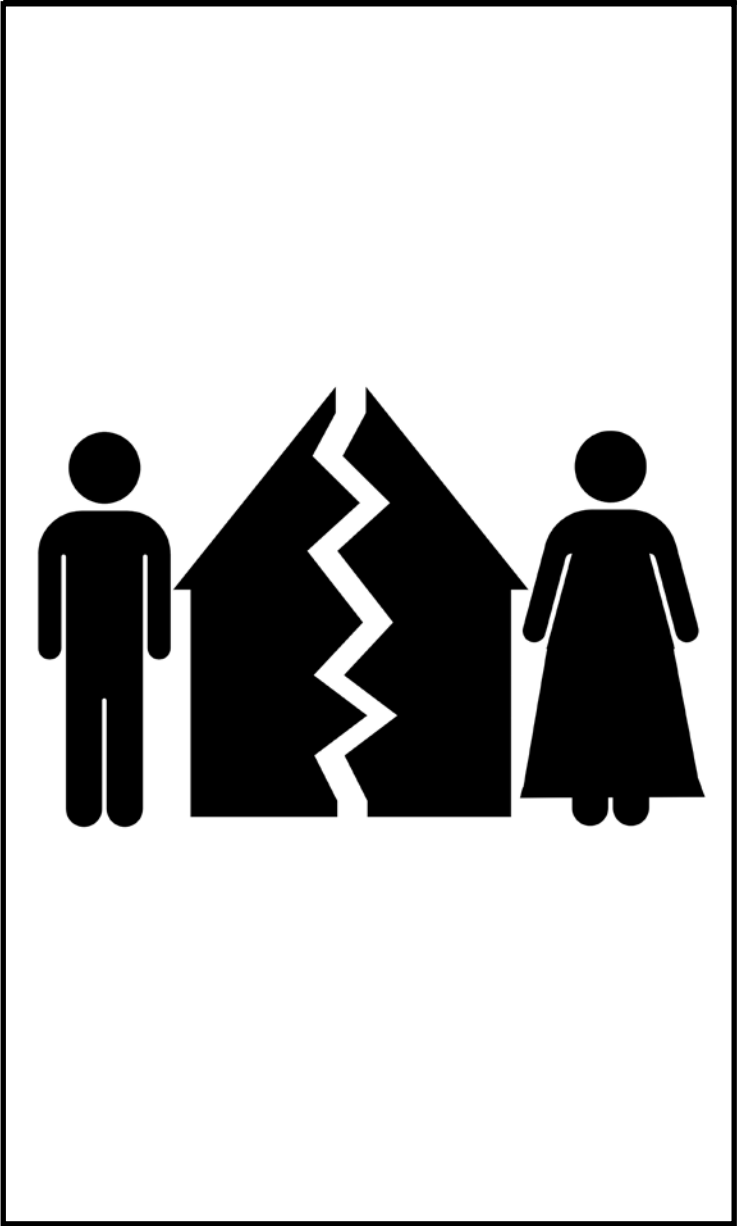
(٥) الإقبال على القرآن بمفاهيمه التي تقدّم لنا فلسفة الحياة، وبتوجيهاته التي تُخفّف من أوجاعنا النفسية، وبقصصه وعبرها: «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ٨٧».

(٦) الإقبال على التسبيح والتحميد والسجود، والعبادة وعلى رأسها الصلاة: «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٩٧ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِّنَ السَّاجِدِينَ ٩٨ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ٩٩».

يوم الطلاق



الخبر الأول: أُعلن في بعض بلاد الغرب عن أوّل يوم اثنين في شهر يناير من كل عام بعنوان «يوم الطلاق»، وكما هو معلوم فإنه أوّل يوم عمل بعد إجازة الكريسمس ورأس السنة... والسبب في ذلك يعود إلى الارتفاع الحاد في عدد الأشخاص الذين يطلبون المشورة - في ذلك اليوم - من مكاتب المحاماة حول أفضل الطرائق لإنهاء العلاقة الزوجية.

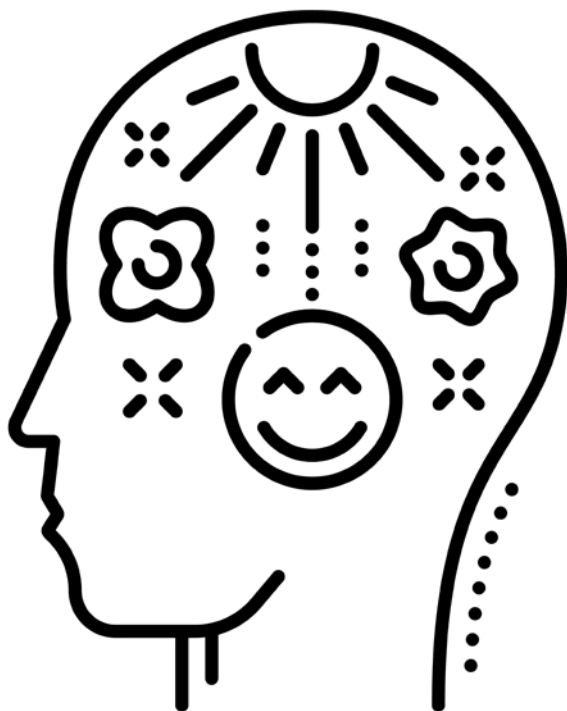


فما الذي يحدث في الفترة التي يُفترض أن يغلب عليها المرح بحيث يدفع الأزواج للطلاق؟

بحسب التقارير، فإن الضغوط المالية الناتجة عن التزامات الاحتفال والسفر في هذه الإجازة السنوية من أهم العوامل التي تدفع نحو خلق أو تجديد النزاعات الزوجية التي قد تصل إلى حدّ الطلاق.

الخبر الثاني: مراهق صيني باع -قبل خمس سنوات- إحدى كليتيه في السوق السوداء لشراء هاتف نقّال وجهاز لوحي، وغايته من ذلك أن يثبت لزملائه في الدراسة أنه مواكب للتكنولوجيا... ولكن نتيجة المضاعفات الصحية، أصبح هذا المراهق عاجزاً عن العمل، وبجاجة إلى رعاية صحية مستمرة.

(اللَّهُمَّ قَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي... وَمَا قَدَّرْتَهُ عَلَيَّ فَاجْعَلْهُ مُيسَّرًا سهلاً).. هكذا تعلّمنا الزهراء (عليها السلام) في إحدى أدعيّتها، بغرض تجنّب الوقوع في مزالق المتطلبات الكمالية أو البهجة الزائفة. وفي الحديث النبوي: (اتَّقِ المحارم تَكُنْ أعبدَ الناس، وارضَ بما قَسَمَ اللهَ لك، تَكُنْ أغنى الناس...).





في سنة ١٩٩٨ تم تأسيس فرع علمي يحمل عنوان علم النفس الإيجابي Positive Psychology على يد عالم النفس مارتن سيليجمان، والذي يركّز على دراسة مواطن القوة والإبداع، ودور الخصائص الإنسانية الإيجابية مثل الرضا، والتفاؤل، والعفو، والتسامح، والأمل، والإيثار... إلخ في تحقيق وتعزيز السعادة الشخصية للفرد، وتحسين جودة حياته، وزيادة فعالية المؤسسات بصفة عامة.

وقد توصّل المختصّون في هذا المجال إلى أن تمتّع العاملين بالتفاؤل والأمل يمنحهم:

- (١) قدرة أكبر على أداء وإكمال مهامهم الوظيفية بصورة أفضل.
- (٢) الشعور بالرضا والسعادة والالتزام في العمل، والصمود أمام العقبات والضغط.
- (٣) القدرة على ضبط النفس، وبالتالي التركيز المستمر في أداء الأعمال.
- (٤) التفكير المستقبلي الذي يدفعهم إلى الأمام لأداء مهام أكبر والنمو والازدهار والإنتاجية.
- (٥) صحة نفسية أفضل.

وفي الإسلام، نجد نصوصاً عديدة تتحدّث عن الترغيب في التفاؤل، وقد كان النبي ﷺ يتفاعل مثلاً بالأسماء ذات الدلالات الجميلة، ويُعرب عن ذلك أمام أصحابه، ليعزّز الدافعية في نفوسهم، وهذا لا يعني أن لاسم ذلك الشخص مدخلة في النتائج الإيجابية التي قد تترتب، ولكنه توظيف للانفعال النفسي الإيجابي في تحقيق أو تعزيز الدافعية لديه ولدى الآخرين.

لولا الخيال



القدرة على التخيّل نعمة من نعم الله ﷻ على الإنسان، وجزء من قدرته على التعامل مع المواقف المعقّدة، وابتكار الحلول أو الوسائل التي تخدمه في الحياة. فالإبداع في العلوم، والصناعة، والتجارة، والفكر، والأدب، والفن، وغير ذلك إنما هو من نتاج الخيال البشري.. وهناك عدد ملحوظ من الابتكارات العلمية كانت جزءاً من الخيال العلمي.



وللخيال فوائد أخرى عديدة... فالأطفال الذين يعانون من مشاكل نفسية يُعالجون طبيًا من خلال توظيف اللعب والخيال لمساعدتهم على التأقلم مع الحياة. حتى بالنسبة إلى الكبار، يتم توظيف القدرة على الخيال في معالجة القلق أو الرُّهاب أو الاكتئاب مثلاً، حيث ينصح الأطباء مرضاهم بتخيل نهايات سعيدة، أو نتائج ايجابية، أو أماكن هادئة وأمثال ذلك.

وفي المقابل، هناك آثار سلبية للخيال.. فالظن السيِّئ بالإنسان البريء يكون في بعض الأحيان نتاج الخيال.. والرؤى الباطلة في المنامات والتي يُرتَّب عليها الإنسان آثاراً عملية ضد مصلحته أو مصلحة الآخرين، هي نتاج نوعٍ من الخيال... بل قد يكون الخيال سبباً من أسباب انحراف الإنسان، فكرياً وسلوكياً.

فالخرافة من نتاج هذه القدرة البشرية... وعادة ما تستتبع الخرافة سلوكاً خاطئاً، ولا تتوقف عند حدِّ الفكرة، وهو ما يزيد من سلبيّتها، بل ومخاطرها أحياناً، وإلى حدِّ الكفر والشرك والممارسات المنحرفة. وفي قوله ﷺ: «وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ۚ» [سورة النجم] دلالة على الموقف الواضح والحاسم من الخرافة.





عن الإمام محمد الجواد عليه السلام أنه قال: (مَنْ لم يعرف الموارد أَعْيَتَهُ المصادر)، والموارد هي طرق الوصول إلى مكان ما، بينما المصادر هي طرق الخروج منها، ولذا نجد في الإدارات قسم (الصادر والوارد).

في هذه الحكمة، يوصي الإمام عليه السلام بأن يكون الإنسان على دراية وعلم وثقافة بالشيء قبل أن يدخل في عالمه، وإلا فإنه قد يتعب كثيراً قبل أن يخرج ويتخلص منه، وقد يُتعب الآخرين معه. مَنْ يدخل الصحراء أو البحر أو غابةً ما من دون دليل

ولا مرشد، ولا معرفة بالطرق، ولا خرائط، قد يصعب عليه الخروج منها، وقد يهلك نفسه بذلك.

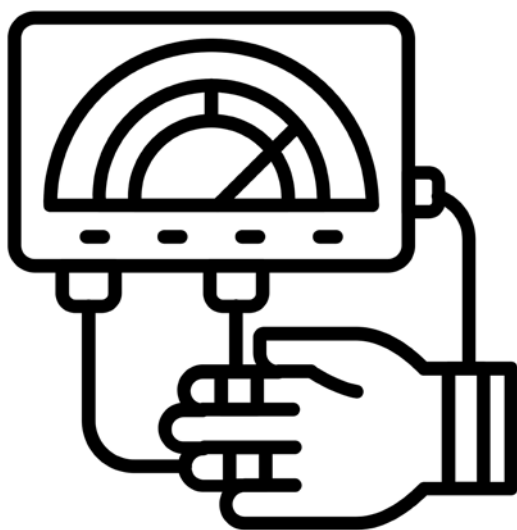
فمن يرغب في الدخول في عالم التجارة، وهو لا يعرف أحكامها الشرعية، ولا يملك ثقافة عن السوق، وكيفية المتاجرة، وقوانينها، ومتطلباتها، وحسابات الربح والخسارة، والمخاطرة، ولا يملك دراسة اقتصادية، فإنه قد يلج هذا العالم فيخسر الكثير، وقد يقع ضحية عملية نصب، ثم يبحث عن طريق للفكك من التبعات فلا يجدها، وقد تكون خاتمة أمره السجن.

ومن يُقدّمون النصائح الطبية من دون تخصص ولا تشخيص علمي، قد يمنعون المريض -بالمريض الخطير- من تلقي العلاج الضروري في الوقت المناسب، توقعاً منهم أن ما يعاني منه هو ذات الشيء الذي عانوا منه سابقاً وتشافوا منه بعلاج بسيط، جهلاً منهم بأن بعض العوارض قد تتشابه، بينما قد يكون المرض مختلفاً تماماً. والنتيجة تعريض هذا المريض للخطر الشديد... وما أجمل البرنامج التوعوي المصري: (أرجوك ما تفتيش) والذي كان ينبّه عامّة الناس إلى خطورة القيام بمثل هذا الدور دون علم ولا معرفة.



عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (لا تغتروا بكثرة صلاتهم وبصيامهم، فإنَّ الرجل ربما لهج بالصلاة وبالصوم حتى لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم بصدق الحديث وأداء الأمانة). فالعبادة قد تتحوّل إلى عادة وتفقد أثرها المطلوب.

بالطبع الصورة عندنا مقلوبة... نحن ننظر إلى كثرة العبادة أولاً... بل قد يكون هذا هو معيارنا في تشخيص تدين الفرد،



بينما الحديث السابق يوجّهنا إلى أن يكون ذلك متأخراً رتبةً عن السلوك العملي الأخلاقي الذي يتقدّمه الصدق وأداء الأمانة. والسبب في ذلك أن الحقيقة الإيمانية غير مختصرة عند الإنسان الذي يستسهل الكذب ولا يبالي، مهما صلى، وزكى، وصام، وحجّ، ومهما طالت لحية الرجل، ومهما التزمت المرأة باللباس الشرعي وبالغت فيه، لأن هذا الخلل السلوكي كاشف عن خلل في الإيمان، إذ لا ينفكّ الإيمان عن الصدق، وأما اعتياد الكذب فيقارب الإنسان من النفاق، وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنه قال: (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ: مَنْ إِذَا ائْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ فِي كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ٥٨﴾ وقال: ﴿أَنْ لَعَنَتِ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ٧﴾).

هذا لا يعني إلغاء معيار العبادة... أبداً... ولكن أن ندرك أن كثرة العبادة لا قيمة لها إن لم تنعكس آثارها الإيجابية على سلوك الإنسان في كافة مجالات حركته في الحياة... وصدق الحديث على رأس تلك المعايير في الصورة السليمة للتقييم.



١٦ ألف كلمة



عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (لا يتكلم الرجل بكلمة حق فيؤخذ بها إلاّ كان له مثل أجر من أخذ بها، ولا يتكلم بكلمة ضلال يؤخذ بها إلاّ كان عليه مثل وزر من أخذ بها).

تشير بعض الأبحاث إلى أن الإنسان العادي يتكلم في حدود ١٦ ألف كلمة في اليوم الواحد، ويختلف هذا من شخص إلى آخر، فقد ينزل الرقم عند البعض إلى سبعة آلاف كلمة، وقد يصل إلى ٢١ ألف كلمة.

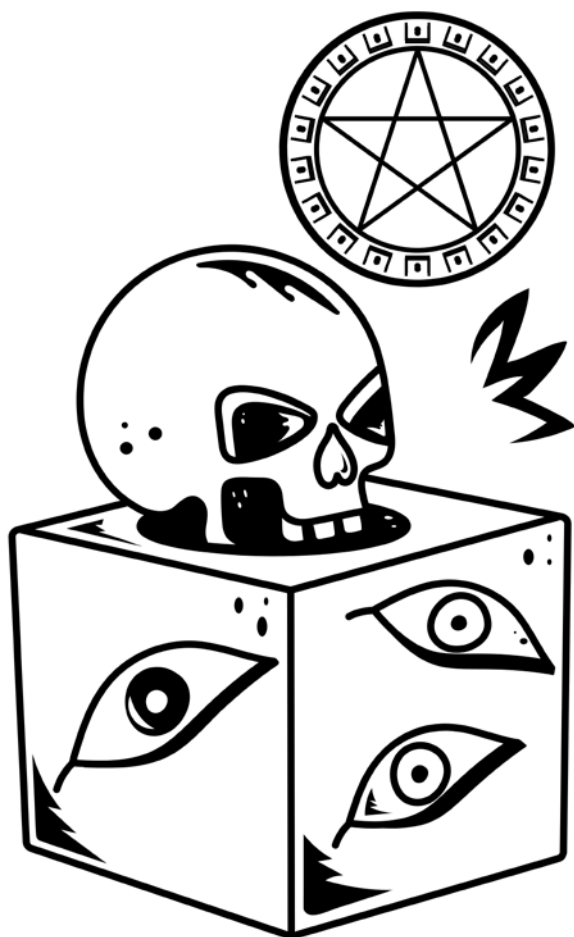
وإذا علمنا أن اليوم الواحد يتكون من ٨٦ ألف و ٤٠٠ ثانية، فهذا يعني أن متوسط كلام الفرد يستغرق خمس يومه تقريباً. وإذا رفعنا الرقم إلى ٢١ ألف كلمة، فستكون النسبة هي الربع تقريباً. وإذا أضفنا إلى ذلك ما ننشره أو نمزّره عبر وسائل التواصل الاجتماعي، سواء أ كان مكتوباً، أو في هيئة صورة، أو فيديو، فإن الرقم سيرتفع كثيراً جداً... فيا ترى، كم من هذه الكلمات ما هو نافع، وله مردود إيجابي لي وللآخرين؟

الإمام الصادق عليه السلام يذكّرنا إلى أن هناك كلمة حق، وهداية، وخير، ومنفعة، في مقابل كلمة باطل، وضلال، وشر، وإضرار. والإنسان مسؤول أمام الله تعالى في ما ينطق به، لأن بالكلمة - كما يقول الإمام الصادق - يمكن أن تهدي أو تفيد أو تحسن إلى إنسان، كما يمكن أن تُضل وتضر وتسئ إلى إنسان. فإن أفدت أحداً بكلمتك، كان لك (مثل أجر من أخذ بها)، وإن ألحقت الضرر بأحد، كان عليك (مثل وزر من أخذ بها)... هذه هي الحقيقة الأولى... والحقيقة الثانية: **﴿إِذْ يَتَلَفَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ١٧ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ١٨﴾** [سورة ق].



الأسلوب الصحيح في مواجهة فشل الحياة الزوجية هو البحث عن نقاط الخلل وأسباب الفشل الطبيعية، وبكل حيادية ومصداقية، ومراجعة النفس -أولاً- واتهامها قبل اتهام الزوج والآخرين ممن يحيطون بك وبه.

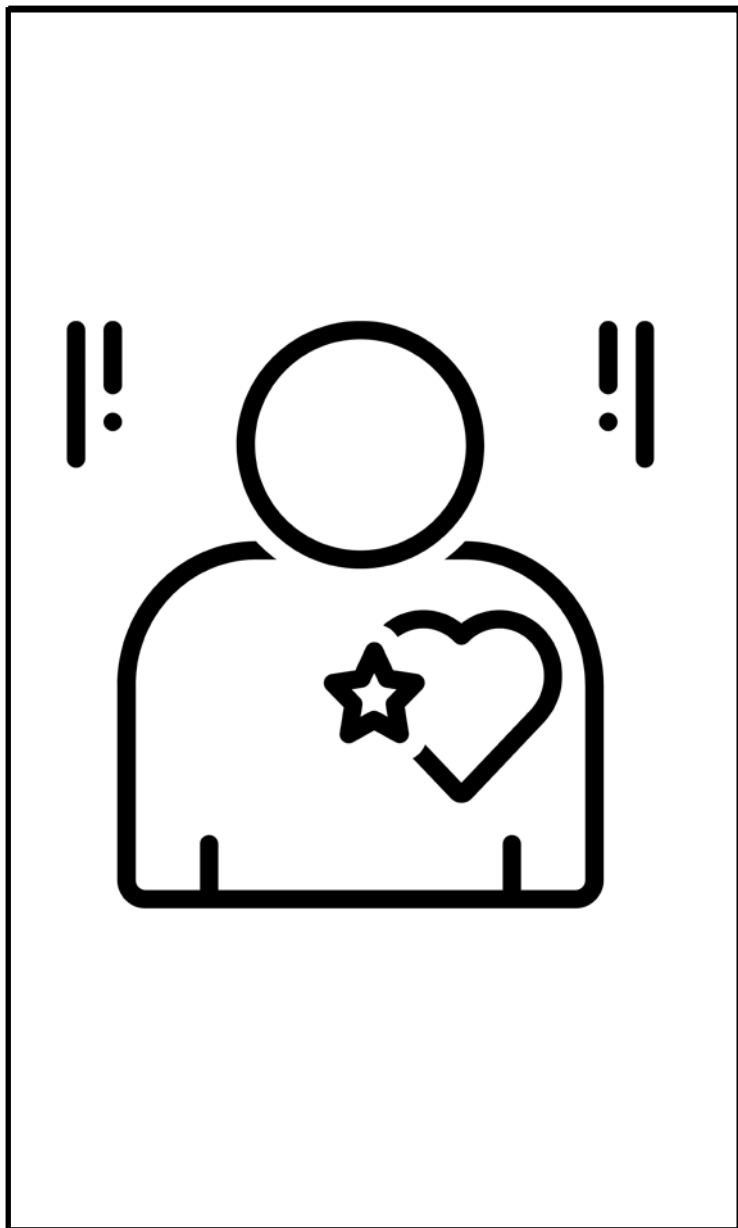
أحياناً... يكون الزوج هو السبب الرئيس لفشل الحياة الزوجية، وأحياناً أخرى تكون الزوجة -في المقام الأول- هي السبب وراء ذلك... كما قد يتساوى الطرفان في الأمر.



وقد شاع في بعض الأوساط الاجتماعية المعاصرة أن يكون السّحر هو المتّهم الرئيس في ما يقع بين الزوجين من خلافات، ثم تتطوّر إلى نزاعات، فانفصال، فطلاق.

ولعلّ هذا التوجيه والتفسير أكثر شيوعاً في الوسط النسائي وبين الزوجات، وهو ما يستدعي توجيه رسالة إلى كل زوجة تعاني نوعاً من فشل أو برود في العلاقة الزوجية أو انفصامها، دون تحميل الزوجة مسؤولية الفشل في الحياة الزوجية على الدوام، ولا تبرئة الأزواج من ذلك.

أيتها الزوجة... قبل أن تقولي: (زوجي مسحور)، اجثي عن كل وسيلة يُمكنك من خلالها أن تسحّريه بحبك الفياض، ومعاملتك الرقيقة، وأخلاقك السامية، وتضحياتك الكبيرة، والقيام بمسؤولياتك، وحضورك الفعّال، ومبادراتك الذكية، وتغاضيك عن هفواته، لأن معالجة أوضاعنا السلبية لا تكون بالبحث -أولاً- عن طرفٍ ما نُحمّله مسؤولية الإخفاق، بل أن نتّهم أنفسنا أولاً ونحاسبها، ونعالج مواطن الخلل عندنا، قبل أن نتوجّه إلى الآخرين فننتهمهم بصورة أو بأخرى، أو نبحث عن عوامل (ما وراثية) فنعتبرها أم المشاكل وأساس خراب البيوت.





موازين الناس في التقييم تختلف عن الموازين الإلهية. البعض يجعل من القوة الاقتصادية والمالية التي يتمتع بها أحدهم هي معيار التقييم وارتفاع القيمة: «فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٧٩» [سورة القصص]... ولكن هذا المعيار مرفوض إلهياً. والبعض يجعل من القوّة البشرية التي تحيط بأحدهم من خلال عدد ذريّته ومَن ينتسبون إليه هي معيار

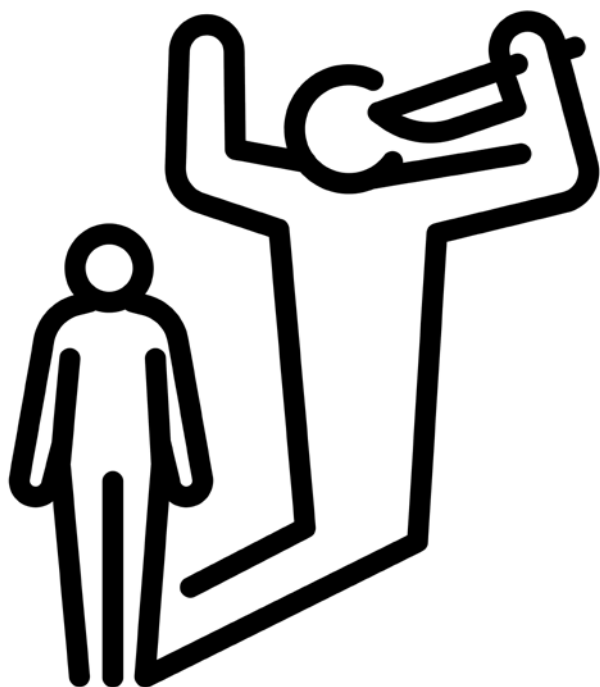
التقييم وارتفاع القيمة: «وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُجَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۖ» [سورة الكهف]... وهذا المعيار -أيضاً- مرفوض في الميزان الإلهي: «الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ۚ» ٤٤، وأساس هذه الباقيات الصالحات هو القلب السليم.. القلب الخالي من الشرك، والنفاق، وسوء الظن بالله، هو قلب الإنسان المؤمن المسلم أمره إلى الله، الراضي بقضائه، الذي يتمنى الخير للناس كما يتمناه لنفسه.

هكذا كان إبراهيم ﷺ الذي وصفه الله ﷻ بأنه صاحب قلب سليم إذ قال: «وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ۚ» ٨٣ من شيعة نوح ۞ إذ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ٨٤ [سورة الصافات]، فقد عرف إبراهيم الخليل قيمة وأهمية القلب السليم من خلال تجربته الشخصية، ولذا عكس ذلك في دعائه مبيناً أنَّ هذه الماديات لا تمثل المعيار الحقيقي في التقييم عند الله، بل قد تكون سبباً لهلاك الإنسان متى ما اغترَّ بها... وفي الآخرة، سيتم تحطيم كبريائه وغروره الذي تجرَّ به على الناس، ومنعهم حقوقهم، واعتدى عليهم، وتكبر على رب العالمين ورسالاته، انطلاقاً من قلبه المريض.



﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ١١٨﴾
[سورة آل عمران].

البطانة - في الأصل - داخل الثوب، وجمعها بطائن، وهذه الآية الشريفة وإن نزلت في أجواء التحديات التي واجهتها رسالة الإسلام في العهد المدني بلحاظ ما كان يمارسه بعض اليهود من



نفاق ومكر، إلا أننا نستطيع أن نستفيد منها في غير بُعد، وذلك انطلاقاً من خطورة وحساسية دور البطانة في حياة الإنسان وقراراته ومصيره.

فدمار بعض الأسر بسبب بطانة السوء... فالزوج شاب طيّب حريص على تكوين أسرة ناجحة، وبالفعل يبدأ حياته الزوجية بصورة إيجابية وناجحة، ولكن فجأة تتغير الأوضاع وينقلب الحال رأساً على عقب... فمشكلته قلة خبرته في إدارة الحياة الزوجية، وعندما تواجهه مشكلة، إلى من يلجأ؟ مستشاره وبطانته بعض أصدقائه المقربين في الديوانية... وبماذا ينصحونه؟ أحياناً يكونون هم سبب تدهور أوضاعه أكثر وأكثر.

وهكذا، تُقبل الفتاة على الحياة الزوجية بمجموعة من وصايا بطانتها، صديقة الروح، أو إحدى قريباتها التي قد تُحسن النصيحة، وقد تكون وصاياها مدمرة إلى أبعد الحدود.

ولذا انتبهوا... دققوا... فليس كلُّ أحد يصلح أن يكون بطانة لكم ومستشاراً أسرياً، وإن كان أقرب الناس إليكم... فأحسنوا اختيار البطانة، فلها من التأثير ما قد يرسم لكم -أحياناً- مصائرهم في هذه الحياة... بل وفي الآخرة.



النَّيَّةُ الجميلة



(إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ أَنْ تَكُونَ نِيَّةُ الْإِنْسَانِ لِلنَّاسِ جَمِيلَةً،
 كَمَا يُحِبُّ أَنْ تَكُونَ نِيَّتُهُ فِي طَاعَتِهِ قَوِيَّةً غَيْرَ مَدْخُولَةٍ)... الإمام
 علي عليه السلام... حُبَّ الخير وتمنيهِ للناس من القيم الإنسانية الأخلاقية
 السامية التي تحثُّ عليها الفطرة السليمة وتعاليم الدين، وهو
 يعكس الروح الطيبة والنفس العالية التي تتجاوز حواجز
 الأنانية، ومغاليق القلوب الحاقدة، وتوهان النفوس اللامبالية،
 وهو يتناغم وما جاء في دعاء مكارم الأخلاق في الصحيفة

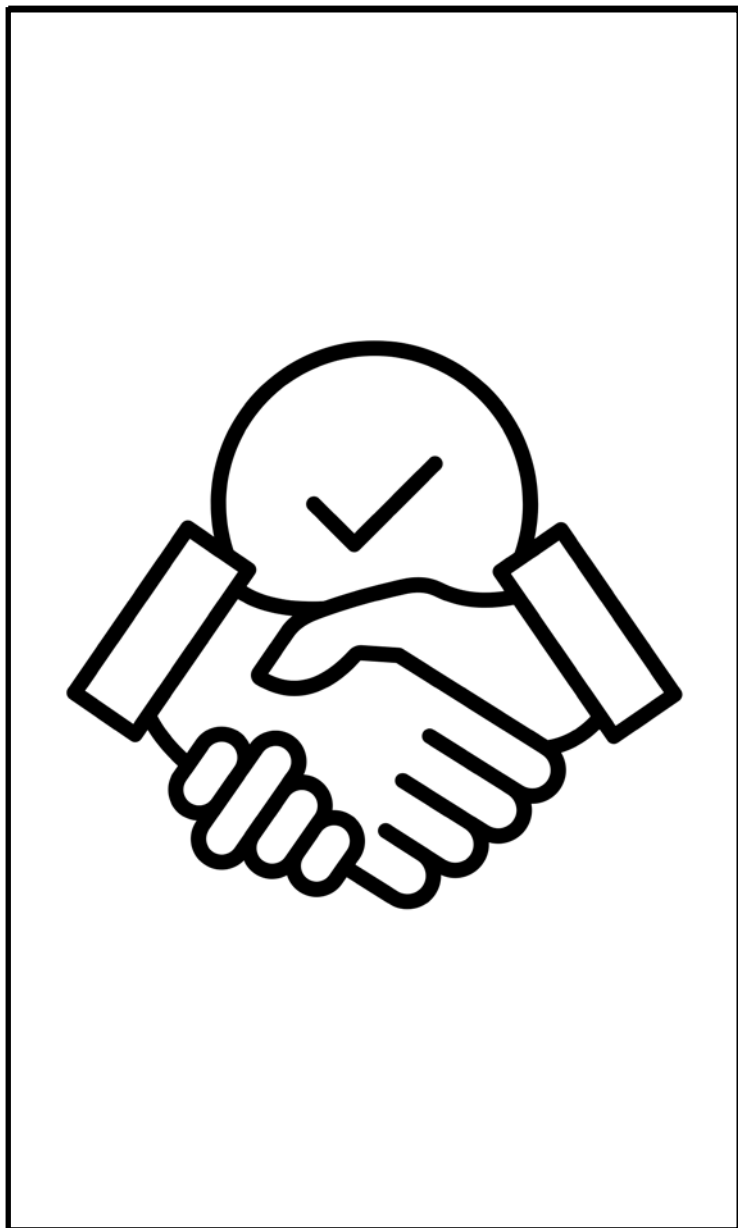
السجادية حيث يقول: (وأَجِرْ للناس على يديّ الخير)، والذي لا يتطلّب -عادةً- جهوداً خارقة وأعمالاً استثنائية، بل يمكن أن يظهر في أبسط معالم حركتنا اليومية، بل وحتى عندما لا يملك الإنسان أن يُقدّم شيئاً في هذا الطريق، ولكنه يحمل همّ المهمومين، ويتمنّى قضاء حاجة المحتاجين، فعن الباقر عليه السلام أنه قال: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَتَرُدُّ عَلَيْهِ الْحَاجَةُ لِأَخِيهِ فَلَا تَكُونُ عِنْدَهُ، فِيهِمْ بِهَا قَلْبُهُ، فَيُدْخِلُهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِمِ الْجَنَّةَ).

ومن النية الجميلة أن تكون انطباعاته عن الناس إيجابية، فلا يُفسّر كلماتهم ومواقفهم وتصرفاتهم تفسيراً سلبياً، وكأنهم يقصدون الإساءة له، إلا في حال وجود أدلة أكيدة على خلاف ذلك، وهذا ما يرشد إليه قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ﴾ [سورة الحجرات].

ومن النية الجميلة أن يتمنّى الخير للناس... أطفالاً كانوا أم شباباً أم كباراً... للعمّال البسطاء الكادحين تحت حرّ الشمس، وللموظفين الذين ييسّرون أمور المراجعين، ولطلّاب وهم يتوجّهون إلى مدارسهم في باكورة الصباح... لسائهم يلهج بالدعاء بالخير للناس، ولو لم يعرفوهم على المستوى الشخصي.



تعتبر الثقة أمراً حاسماً وأساسياً في بناء العلاقات... يحضر هذا المفهوم في العلاقة مع الله ﷻ من جهتين، الأولى: يأخذ الله من المؤمنين الميثاق، أي العهد المحكم، بما يدلّ على أن من مسؤوليتهم أن يُثبتوا مصداقيّتهم والتزامهم بما أمر به. والجهة الثانية تتمثّل في لزوم الثقة بالله، والإخلال بذلك يؤدّي إلى سوء الظن بالله، وسوء الظن به يؤدي تدريجياً -بنحو أو بآخر- إلى الكفر.



ويحضر هذا المفهوم في إطار بناء العلاقات مع عباد الله... فانعدام الثقة أو ضعفها في الحياة الاقتصادية وحركة المال، يعني انهيار السوق التجارية.

وواحدة من انعكاسات الثقة في الحركة الثقافية والعلمية والمعرفية، ما أبدعه المسلمون في العصر الأول من ذكر وحفظ الأسانيد للكتب والروايات والأخبار معاً ودراستها ضمن علوم الحديث والدراية والرواية، كل هذا من أجل بناء الثقة بيننا وبين المفردة الثقافية أو العلمية أو المعرفية. والأمثلة المعاصرة في مجال أهمية الثقة في الحركة الثقافية والعلمية كثيرة جداً.

وفي الحياة الاجتماعية، انعدام الثقة أو ضعفها بين الزوجين يعني انهيار العلاقة الزوجية بشكل تدريجي، وقد تكون له عواقب وخيمة، ولذا فإن واحدة من الأسئلة المهمة التي ينبغي أن يسأل الشاب نفسه عندما يتقدم لخطبة فتاة: هل يمكنني الثقة بهذه الإنسان كزوجة؟ وكأم؟... والعكس صحيح.

وهكذا الأمر في الحياة السياسية والإدارية، فإن ضعف أو انعدام الثقة بين المسؤول والمسؤول عنه يمكن أن يؤدي إلى نتائج سلبية عديدة كما لا يخفى.





من المفاهيم التي عمل الإسلام على ترسيخها التأكيد على أنّ المسؤول -في أيّ موقع كان- وفي أيّ إطار يعمل -ديني أو سياسي أو إداري أو قضائي أو أمني أو اجتماعي أو ثقافي- هو في موقع خدمة الناس، وليس له أن يتوقع من الناس أن يخدموه ويُكرموه لحاظ هذا المنصب... فالمنصب تكليف لا تشريف.

في كتاب الإمام علي عليه السلام لعامله على أذربيجان الأشعث بن قيس: (وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ).

إذا كنت مسؤولاً، فعملك ليس لك ببطعة تحاول من خلاله أن تترفع على موظفيك، أو تُجبرهم على التزلف إليك ليحصلوا على ما يريدون، بل هو أمانة ومسؤولية في عنقك، ولا يحق لك أن تعتبره وسيلة للصعود على أكتاف الناس، أو إذلالهم، أو التنفّع من خلاصهم، بل أن تُعطي من وقتك وجهك وتفكيرك وإبداعاتك ما يُيسّر لهم أمورهم، ويقضي حوائجهم.

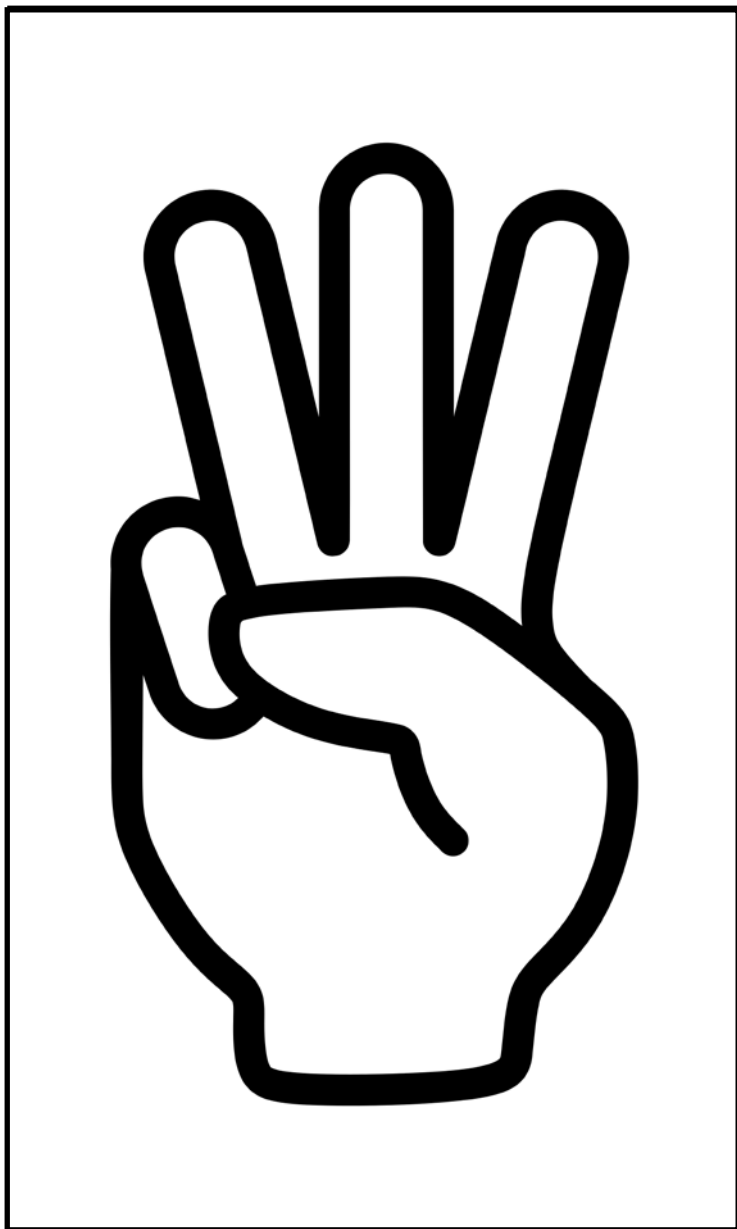
وهو ما دفع بالإمام زين العابدين عليه السلام إلى أن يختار رفقة سفرٍ غرباء: (... ويشترط عليهم أن يكون من خدّم الرفقة فيما يحتاجون إليه، فسافر مرّة مع قوم، فرآه رجل فعرفه فقال لهم: أتدرون من هذا؟ فقالوا: لا، قال هذا علي بن الحسين. فوثبوا إليه، فقبلوا يده ورجله وقالوا: يا ابن رسول الله، أردت أن تُصلينا نار جهنم لو بدّرت منا إليك يد أو لسان، أما كنا قد هلكنا إلى آخر الدهر؟ فما الذي يحملك على هذا؟ فقال: إني كنت سافرت مرة مع قوم يعرفونني فأعطوني برسول الله صلى الله عليه وآله ما لا أستحق، فاني أخاف أن تعطوني مثل ذلك، فصار كتمانٌ أمري أحبّ إليّ). لقد كان الإمام يرى في انتمائه إلى النبي، وفي مقامه المعنوي، وفي علمه الذي ساد به على الآخرين، مسؤولية، وهذه المسؤولية تعني العطاء لا الأخذ.

ثلاث خصال



عن الإمام محمد الجواد عليه السلام أنه قال: (المؤمن يحتاج إلى ثلاث خصال) المؤمن يحتاج إلى خصال كثيرة، يحتاج إلى التقوى، والمعرفة والعلم، والصبر والحلم، والقائمة طويلة، ولكن الإمام ينبه إلى ثلاث خصال لها علاقة بضبط مسيرته في الحياة، انسجماً مع الدعاء المستمر: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [سورة الفاتحة]، فالهداية إلى الصراط المستقيم بحاجة إلى عوامل مساعدة... وهي الخصال التالية:

١. (توفيق من الله) لأن الأمور بيده ﷻ، وبيده أن يفتح لنا



الأبواب، وييده أن يُغلقها. وييده أن ييسر الأمور، وييده أن يعقدها ويعرقلها. وللحصول على توفيق الله لا بد من العمل لنيل ذلك، بتعلّق القلب بالله، بالدعاء في اليسر والعسر، بالتوكّل عليه، بالرضا بقضائه وقدره، وبعمل الخير.

٢. (وواعظٌ من نفسه) دعوات عديدة في القرآن أن يبادر الإنسان فيقرأ التاريخ والأحداث المعاصرة بعين فاحصة: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ١٣٧﴾ [سورة آل عمران]، فيكون التدبر والتفكر والتعقل في هذه كلها من أسباب أن يضبط سلوكه بعدم تكرار أخطاء الآخرين، وبأن يُصلح نفسه، ويسير على خطى المهتدين.

٣. (وقبولٍ ممن ينصحه) لا تكابر، ولا تترفع على النصيحة ممن يريد لك الخير. فقد تفوتك أمور كثيرة، وتخفى عليك سلبيات لا تلحظها، ولكن يراها الآخرون، فيقدّمون لك النصيحة. اقبلها واشكرهم، وإن كنت ترى بأنّ في كلامهم ما يجرح كبرياءك. فإذا وجدت أن نصيحتهم في محلّها فاعمل بما يعينك على حفظ توازنك في سيرك على الصراط المستقيم.





وصفة للراحة

روى الإمام الباقر عليه السلام أن ابن شهاب الزُّهري، العالم المعروف، دخل على الإمام زين العابدين عليه السلام كثيراً، ودار بينهما حوار عن سبب حزنه وكآبته، فقدّم له الإمام وصفة للراحة النفسية في إطار العلاقات الاجتماعية، تضمّنت الضوابط التالية:

١. تحكيم العقل في التصرفات والقرارات: (يا زُهري، مَنْ لم يكن عقله من أكمل ما فيه، كان هلاكه من أيسر ما فيه).
فالانجرار وراء الأهواء، والتعصّبات، وسيطرة الغضب، كلّ ذلك قد يقود إلى ما لا تُحمد عُقباه، وأما العقل فهو صمّام الأمان.

٢. تجنّب الظلم: (يا زُهري، عليك أن تجعل المسلمين منك بمنزلة أهل بيتك: فكبيرُهم منك بمنزلة والدك، وتربُّك منهم) من هو في مثل عمرك (بمنزلة أخيك، وصغيرُهم منك بمنزلة وَلَدِكَ، فأَيُّ هؤلاء تحبُّ أن تظلم؟ وأيُّ هؤلاء تحبُّ أن تدعو عليه؟ وأيُّ هؤلاء تحبُّ أن تهتكَ سِتره؟).

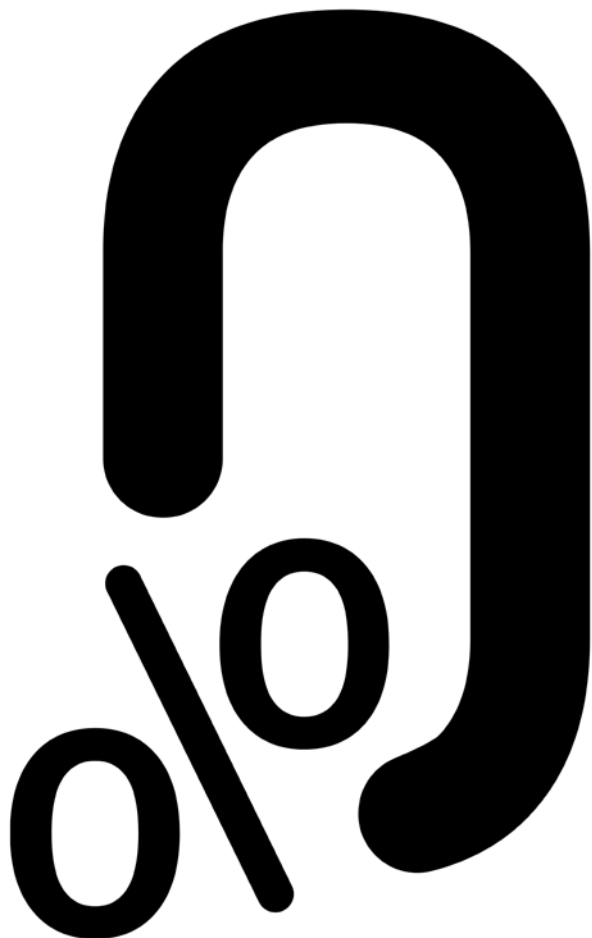
٣. الاحتراز من الكبر والاستعلاء، فهي صفة شيطانية ليس وراءها إلا الخسارة في الدنيا والآخرة: (وإن عَرَضَ لك إبليس -لعنه الله- بأنَّ لك فضلاً على أحدٍ من أهل القبلة، فانظر إن كان أكبرَ منك، فقل: قد سبقني بالإيمان والعمل الصالح، فهو خيرٌ مِنِّي. وإن كان أصغرَ منك، فقل: قد سبقته بالمعاصي والذنوب، فهو خيرٌ مِنِّي. وإن كان تربُّك فقل: أنا على يقينٍ مِن ذنبي، وفي شكٍّ مِن أمره، فما لي أدعُ يقيني لشكِّي؟).

٤. حُسن الظن في تفسير خلفيات المواقف: (وإن رأيتَ المسلمين يُعظِّمونك ويوقِّرونك ويُبجلونك فقل: هذا فضلٌ أخذوا به، وإن رأيتَ منهم جَفَاءً وانقباضاً عنك فقل: هذا لذنبي أحدثته) لا تُلقِ باللائمة عليهم، وإلا فلن تراجع نفسك، ولن تصحح مواطن الخلل في شخصيتك وتصرفاتك.

صِفر مشاكل



من بين المهام الرئيسة للرسل والهداة الربانيين أن يُرشدوا الناس على صعيد الإيمان والشرعة التي يلتزمون بها، وأن يزكّوا النفوس ويهدوها على صعيد العمل والسلوك في الحياة. وقد أراد الله ﷻ للمجتمعات الإنسانية أن تعيش (صفر مشاكل)، إلا أن هذا لن يتحقق حتماً في الحياة الدنيا، ولعدة أسباب، من بينها: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لِأَفْعِدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لَا تَجِدُهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ١٣٧﴾ [سورة الأعراف]، ولقوة أهواء



النفس، والأنانية، وتضارب المصالح، وغير ذلك من الأسباب. ومع هذا، فقد سعى الإسلام إلى مقاربة هذه النسبة ما أمكن، وكلّما قلّت نسبة المشاكل في المجتمع، كلّما كانت الحالة فيه أقرب إلى صفة الحياة في الجنّة، حيث يعمّ الأمن والسلام في العلاقات البينية... أي (صفر مشاكل): ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٤٥ اذْخُلُوها بِسَلامٍ آمِنِينَ ٤٦ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ٤٧ لَا يَمَسُّهُم فِيهَا نَصبٌ وَمَا هُمْ مِّنْهَا بِمُخْرِجِينَ ٤٨﴾ [الحجر: ٤٥-٤٨].

ولتحقيق المجتمع الأقرب إلى هذه الصورة في الحياة الدنيا هناك عدة أسس، من أهمّها:

١. الالتزام بالقانون كوسيلة لتنظيم العلاقات.
٢. التحلّي بالتقوى كضابطة ذاتية وصمّام أمان تلقائي.
٣. الأخذ بالأخلاق الكريمة كصورة أرقى من مجرد الالتزام بالقانون: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ فيمكنك أن تأخذ حقّك بالقانون، ولا تُلام على ذلك، ولكن -أحياناً- يكون الأفضل العفو والتفصّل على المخطئ: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ٣٤﴾ [فصلت: ٣٤].



٧٩

شِرَاك النعل



عن علي عليه السلام: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيُعْجِبُهُ مِنْ شِرَاك نَعْلِهِ أَنْ يَكُونَ
 أَجُودَ مِنْ شِرَاك نَعْلِ صَاحِبِهِ، فَيَدْخُلُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ
 الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا
 وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ٨٣﴾) [سورة القصص]... الكِبَر والتفاخر
 والاستعلاء على الآخرين مسألة ذات طابع حساس جداً في
 المنظور الإسلامي، بحيث نجد نصوصاً قرآنية وأحاديث عديدة
 وممتنوعة تُحذّر من مغبّة الوقوع في هذا الشَّرْك الخطير، كتقديم
 قصة إبليس وطرده من رحمة الله، ووصف عباد الرحمن.. إلخ.

هذه النص المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام من بين النصوص التي تأتي في سياق التحذير من عوامل أو مظاهر الكبر والتفاخر والاستعلاء على الآخرين... فشرَاك النعل، بمنزلة الرباط الذي نربط به الحذاء في زماننا هذا، شيء قليل القيمة، وليست له أهمية ذاتية، بل هو وسيلة لحفظ الملبوس في القدم.

وعليه، فإن الاعتناء الاستثنائي بهذا الشيء التافه قد يكون مؤشراً على وجود خلل في نفسية مالكة، وذلك حين يعيش حالة من التنافس مع شخص آخر على أفضلية رباط الحذاء، لأنه يريد أن يستعلي من خلاله على الآخرين.

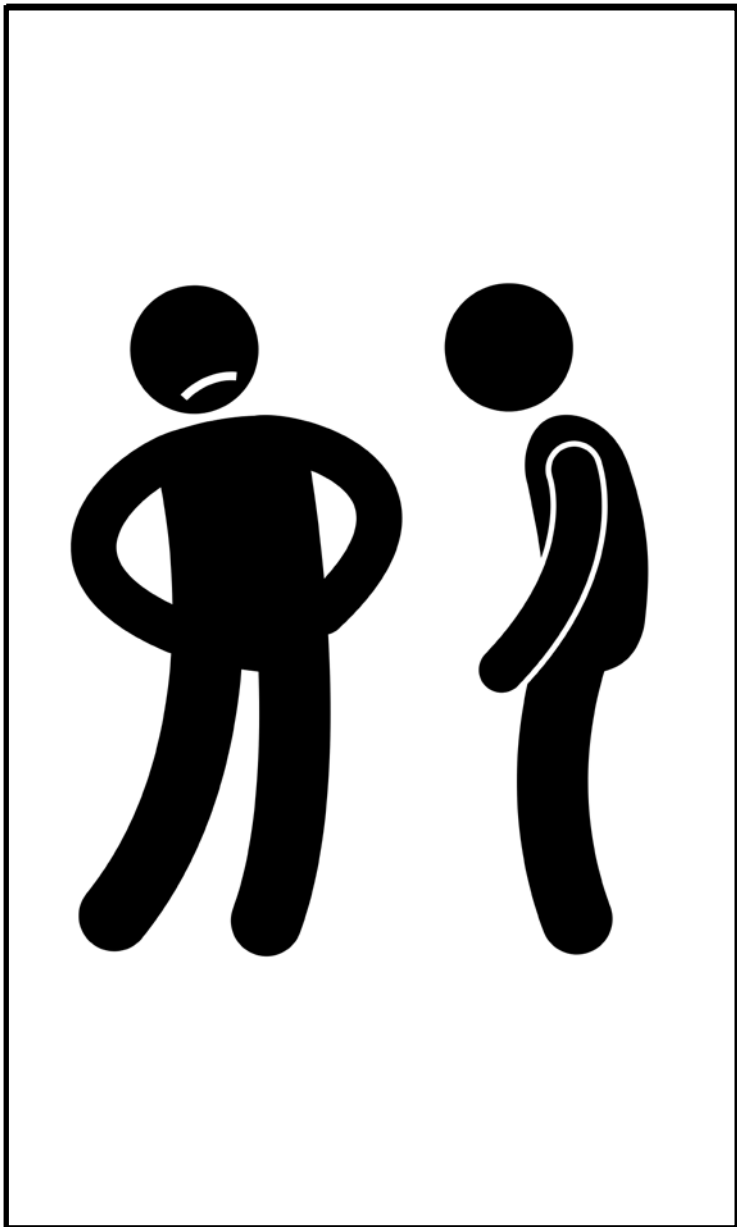
نحن لا نتحدث هنا عن أصل التجلُّل، بدليل أن رجلاً قال: (يا رسول الله، إني أحب أن يكون ردائي حسناً، ونعلي حسنة، أفمن الكبر ذلك؟ فقال: لا إن الله جميل يحب الجمال)، بل نتحدث عن تحوُّل شيء تافه إلى مدخل للاستعلاء من خلال المقارنة في الماديات، وفي ما لا قيمة له في الحساب الأخروي: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِيَفْتَنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [سورة طه].

غَمَصَ الخلق



من السلوكيات الخاطئة المنتشرة بين الناس، ردّة الفعل السلبية السريعة على الآراء والأفكار التي يُبديها الآخرون، قبل التحقق والتفكّر والبحث حول مضمون ذلك القول.

ردّة الفعل السلبية المتمثلة في تسفيه واحتقار واستصغار القول وصاحبه، والطعن فيه باتهامه بالجهل، أو الانحراف، أو سوء النية، أو غير ذلك، قد تكون ناتجة عن:



١. الموقف السلبي من صاحب المقولة. فالحكم على الفكرة بالإعدام قد صدر مسبقاً بلحاظ شخص المتكلم، دون أي اعتبار لمحتوى الفكرة، والذي قد يكون صحيحاً. وهذا مخالف لقوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ٨﴾ [سورة المائدة].

٢. الجهل، وخطورة هذا الأمر ما بينه الإمام علي عليه السلام في قوله: (لو أنَّ العباد حين جهلوا، وقفوا، لم يكفروا ولم يضلُّوا) أي إن إصدار الأحكام عن جهل ودون معرفة بالأمر قد يجرّ الإنسان إلى ما هو خطير، وقد يصل إلى مستوى الكفر والضلال.

٣. العُجب والترفع على الناس كبراً، والذي قد يكون ناشئاً عن التعصّب للقومية أو القبلية أو الانتماء لوطن أو أسرة أو حتى دين ومذهب، وهو ما أشار إليه النبي ﷺ في الحديث النبوي: (إنَّ أعظمَ الكِبَرِ غَمَضُ الخلق) احتقار وتسفيه واستصغار الناس (وسَفَهُ الحق، قال: قلت: وما غَمَضُ الخلق وسَفَهُ الحق؟ قال: يَجْهَلُ الحقَّ، وَيَطْعَنُ على أَهْلِهِ، فمن فعل ذلك فقد نازَعَ الله [عز وجل] رداءه)، إشارة إلى ما روي من أن الكبرياء شأن خاص بالله ﷻ، فمن تكبر نازع الله في ذلك.





ما نفهمه من القرآن الكريم أن الأصل في أيّ جدال أو نقاش يجب أن يكون بهدف هداية الطرف الآخر، لا التغلب عليه بالضربة القاضية أو بالنقاط، والفرق بين هذا وذاك كبير من حيث الموضوع الذي يتم تناوله، والأسلوب، والنتائج.

والكثير من القضايا التي يتم تناولها في المناظرات الجارية بين أتباع المذاهب الإسلامية تدور حول قضايا فرعية تقبل الاجتهاد فيها، وقد يختلف فيها أتباع المذهب الواحد اجتهاداً، ولا يصل الطرفان إلى نتيجة سوى مراكمة الخلافات والخصومة

والأحقاد، لا الاهتمام إلى ما هو الحق أو الصحيح، في حين أن مَنْ يعمل على هداية الآخرين لابد أن يمتلك حدوداً في الكلام والأسلوب والمضمون، وهو ما نلاحظه في أسلوب السيد شرف الدين في كتابه (المراجعات) ومحاوره (العالم السيّ) الذي قال بعد السلام وبيان بعض المقدمات: (وإني لواقف على ساحل بحرك اللجّيّ، أستأذنك في خوض عبابه والغوص على درره، فإن أذنت غُصنا على دقائق وغوامض تحوُّك في صدري منذُ أمدٍ بعيد، وإلا فالأمر إليك...). فردّ عليه السيد شرف الدين السلام وقال له: (خولتني بكتابك العطوف من النعم، وأوليتني به من المن ما يعجز عن أداء حقّه لسانُ الشكر، ولا يستوفي بعضُ فرائضه عمرُ الدهر...). واستمر هذا الأدب والأسلوب الراقي بينهما مهما غاصا في موضوعات حساسة كموضوع الإمامة.

فإذا كان هذا هو الأسلوب في الحوار، فلا بأس، وهو يقرب ولا يبعد... أما ما يجري في ساحة التواصل الاجتماعي فشيء مختلف تماماً... استهزاء، واتهامات، وكلمات مقذعة، وشحناء وبغضاء، وكل شيء سوى الكلمة الطيبة، والأدب في الكلام، والرغبة في الهداية.



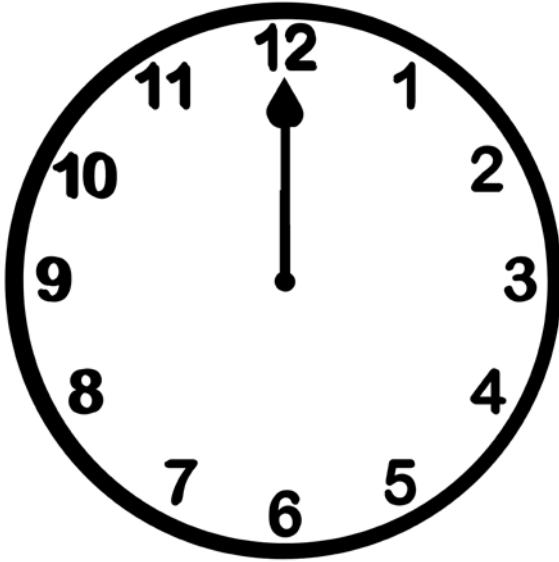
قد يملك الإنسان المال الذي من خلاله يستأجر مَنْ يؤدّي عنه العمل بشكل تام، وقد يتوافر عنده مَنْ يخدمه في كل صغيرة وكبيرة، بل وقد تكون له من الواجهة الاجتماعية ما يستوجب -في نظر العرف- أن يترقّع عن العمل بنفسه... وهكذا كان حال الإمام الصادق عليه السلام، لم يكن ينقصه المال، ولا الخدم، وله من الواجهة -وبغير عنوان- ما لا يخفى... إمامة، وسيادة، ونسب، ومقام علمي، وغير ذلك... ولكنه مع هذا كان يحرص على أن يعمل بنفسه وببيديه ضمن ما هو متيسّر له.



يؤكد ذلك ما روي عنه ﷺ أنه قال: (إني لأعمل في بعض ضياعي حتى أعرق، وإن لي من يكفيني، ليعلم الله [عز وجل] إني أطلب الرزق الحلال)... في مقابل ذلك، نجد اليوم مفهوماً مغلوطاً لدى بعض الشباب يتمثل في البحث عن أقل الفرص الوظيفية بدلاً للجهد، ولو تسنى له أن يجد وظيفة تعفيه عن العمل، لأقبل عليها، وحرص على الاحتفاظ بها.

حال هؤلاء يماثل حال الشاب (العلاء) إذ دخل: (فجلس قدام أبي عبد الله ﷺ فقال: ادع الله أن يرزقني في دعة) في راحة ومن دون تعب وبذل الجهد (فقال: لا أدعوك، اطلب كما أمرك الله [عز وجل]).

فترة الشباب يعني أن الفرد في قمة طاقته وحيويته، وهي الفترة التي يتوقع فيها أن يكتسب خبرات حياتية كثيرة، سواء تلك المرتبطة بالعمل، أو بالبُعد الاجتماعي، أو المعرفي... ولذا فإن الرضا بالوظائف الصورية، أو البحث عن أكثر الوظائف راحة، خطأ في الاختيار، وتجنّ على النفس، وهدر للطاقات، وتضييع للفرص، وقد تكون له مردودات صحية كثيرة لها علاقة بالحمول العضلي، وأمراض السكر والقلب وغيرهما.





تخيّل لو أنك تقود سيارة بسرعة جنونية، ومن حولك سيارات
وأفراد يقطعون الطريق.. وعلى جهتي الطريق مناظر خلابة..
أشجار وحدائق وأبنية جميلة.. كيف سيكون عليه الوضع؟
أولاً، ستفقد السيطرة على السيارة بشكل كبير، وستكون
منقاداً لها أكثر من أن تكون قائداً.

ثانياً، ستكون معرضاً للحوادث، فأقل تلامس مع جسم آخر
- سيارة أو إنسان أو حيوان - قد يؤدّي إلى تعرّضك لحادث

عنيف، أو إلى إيذاء الآخرين بشدة دون أن تقصد ذلك.

ثالثاً، ستفوتك الكثير من المناظر الجميلة أو الملفتة التي لربما وددت أن تشاهدها، وكان بإمكانك أن تستمتع بها لو كانت سرعتك أقل.

هكذا هو الأمر تماماً حين نستسلم لسرعة إيقاع الحياة، التي طالت الكثير من الأشياء التي نمارسها يومياً، أو التي ترتبط أحياناً بجوانب مصيرية أو حساسة في حياتنا. فسرعة إيقاع الحياة طالت التفكير والكلام والطعام والعلاقات الإنسانية والتحصيل العلمي والتنمية الثقافية وحيازة المناصب وتكوين الثروة، والكثير من العناوين، وما عاد بإمكان كثير من الناس أن يقرأوا كتاباً أو يستمعوا إلى محاضرة كاملة... وأصاب مؤسسة الزواج هذا الداء، سرعة الارتباط بعد سرعة التعارف، ثم سرعة الطلاق... وهكذا نلاحظ جنون سرعة المركبات عند توصيل الأبناء إلى المدارس صباحاً، وبما يقود إلى مخاطر كثيرة تهدد حياتهم وحياة أطفالهم ومستعملي الطريق.

نحن بحاجة إلى أن نسترجع شيئاً من الهدوء والطمأنينة في حركتنا، لتكون أكثر اتزاناً وتوافقاً مع العقل والحكمة.

٨٤

لو دامت لغيرك



(لو دامت لغيرك ما اتصلت إليك)... اختلف في قائل هذه الحكمة، هل هو عمرو بن عُبيد المعتزلي، أم عبدالرحمن الأوزاعي، وكلاهما معاصران للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، أم هو أحمد ابن الخليفة هارون العباسي والملقب بالسبتي لأنه كان يعمل يوم السبت ليكسب قوت أسبوعه وكان زاهداً معرضاً عن الملك ومات في حياة أبيه، أم شخص آخر.

المهم في الأمر أن هذه الحكمة تطلب من صاحب أي منصب



أن يتمنّ في حال من سبقه، فمنهم من عُزل لسبب أو من دون سبب، ومنهم من تقاعد عن العمل بحكم السن، ومنهم من فارق الحياة، ومنهم... هذه هي دورة الحياة. وعليه، فإنّ هذه الحكمة تُذكّر بالموت، ثم بالحساب والثواب والعقاب، ولذا فهي تدعو المؤمن كي يُحسن التصرف فيما جعل الله ﷻ تحت يديه من مسؤولية، ومن مال عام، حتى إذا وقف بين يدي الله لاقاه بوجه أبيض.

ولكن يبدو أن بعض المسؤولين باتوا يفهمون هذه الحكمة بصورة معكوسة... فإنّ المنصب الرفيع الذي يشغلونه، والأموال العامة التي تكون بأمانتهم، قابلة لأن تنتقل منهم إلى أشخاص آخرين، ولذا فإنّ عليهم أن يستغلّوا الفرصة ويسارعوا لنهب ما أمكن نهبه!

وإذا أضافوا إلى ذلك مقولة: (دوام الحال من المحال) ازداد نهمهم للاختلاس والسرقة من المال العام! فالمنصب الرفيع الذي يشغلونه عبارة عن مرعى مؤقت فحسب، ومتى ما استنفدوا الغرض منه تحوّلوا إلى غيره... فيا عجباً لحيل الشيطان ومكائد النفس الأمّارة بالسوء!!





فرصة العمر... الجائزة الكبرى... بيت الأحلام... وأمثال هذه
العناوين المثيرة تملأ الإعلانات في الشوارع والصحف ووسائل
الإعلام... ولنفترض أنها تحققت لأحدنا، فهل هي فعلاً كذلك؟
هل هي فعلاً فرصة العمر أو بيت الأحلام أو الجائزة الكبرى؟
للذين لا تمتد أعينهم وتطلعائهم أكثر من الحياة الدنيا... نعم،
هي كذلك، أما بالنسبة إلى الذين آمنوا بأن هذه الحياة كما قال

أمير المؤمنين ﷺ في الخطبة برقم ٢٠٣ من نهج البلاغة: (دَارُ مَحَازٍ، وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ) بالنسبة لهؤلاء الأمر مختلف تماماً.

بالنسبة إلى هؤلاء، فرصة العمر هي تلك اللحظة التي يُفْتَحُ لهم فيها باب التوبة، والجائزة الكبرى هي رضا الله، وبيت الأحلام هو القصر الذي يبنيه في الجنة بإيمانهم وأعمالهم الصالحة. ولذا قال الإمام بعد ذلك: (فَاحْذَرُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ) هذا أولاً، وثانياً: (وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ) وأما ثالثاً: (وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ). والسبب بسيط جداً وواضح، وهو أنكم لم تُخْلَقُوا لهذه الحياة، بل هي مجرد مرحلة عابرة عنوانها الاختبار: (فَفِيهَا اخْتِبرْتُمْ، وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ).

ثم نبّه الإمام ﷺ إلى الفرق بين معايير الناس الذين ركنوا إلى الدنيا، وبين المعايير الحقيقية في تقييم المصير، قال: (إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ: مَا تَرَكَ؟) قصور؟ أرصدة ضخمة؟ تجارة واسعة؟ أسطول من السيارات الفارهة؟ (وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: مَا قَدَّمَ؟)... فلكي تَبْنِي آخِرَتَكَ، عليك أن تقدّم شيئاً من مالك.. شيئاً من وقتك.. شيئاً من جهدك.. أو شيئاً من علمك.

خلود الذّكر



بموت الإنسان يموت ذِكرُه بين الناس، ولعلّ المستثنى من هذا الأمر بعض مَنْ عاصروه... زوجته، وأبناؤه، وأصدقائه... ثم عادةً ما يختفي ذِكره، وتنمحي من الذاكرة معالمُ حياته، ولا يبقى إلا اسمه دائراً على ألسن الأجيال اللاحقة التي تنتسب إليه، فيقال: فلان بن فلان بن فلان.

ومع هذا، يتطلع كثيرٌ من الناس للخلود في هذه الحياة، ولو على مستوى الذّكرى، ولذا يعمد البعض إلى نَحْتِ اسمه على



الصخر، وحفره على جذوع الأشجار، وإن أدركوا في أعماقهم أن لا قيمة كبيرة في ذلك، إذ لن يتعرّف عليه من يقرأه.

ولكن يمكن أن تُكسر هذه القاعدة - كما في بعض النصوص - من خلال العلم الذي يتركه من ورائه: (هَلَكْ خُرَانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءُ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ: أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، أَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ) ... نهج البلاغة.

ومن خلال الصدقة الجارية - ومنها الأوقاف - وهي صدقات تبقى عينها عادة لمددٍ طويلة، ولها صور كثيرة، وإن حُصرت - غالباً - في قوالب محدّدة كبناء مسجد أو حسينية.

الرحالة الشهير ابن بطوطة وقف منبهرًا بما رآه في أوقاف دمشق في القرن الثامن الهجري فقال: (والأوقاف بدمشق لا تُحصر أنواعها ومصارفها لكثرتها؛ فمنها أوقاف على العاجزين عن الحجّ، يُعطى لمن يحجّ عن الرجل منهم كفايته، ومنها أوقاف على تجهيز البنات إلى أزواجهنّ، وهنّ اللواتي لا قدرة لأهلهنّ على تجهيزهنّ، ومنها أوقاف لفكاك الأسارى، ومنها أوقاف لأبناء السبيل؛ يُعطون منها ما يأكلون ويلبسون ويتزوّدون لبلادهم، ومنها أوقاف على تعديل الطرق ورصفها).



انْظُرْ مَنْ مُجَالِسَ



من وصايا رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام: (يا علي، مَنْ لَمْ تَنْتَفِعْ بِدِينِهِ وَلَا دُنْيَاهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي مَجَالِسِهِ).

الطبيعة الاجتماعية في الإنسان تدفعه للبحث عن الجليس، وعن الصديق... تبدأ هذه الرحلة في الطفولة المتأخرة أو بداية المراهقة، وتتغير تدريجياً في صورتها وطبيعتها كلما كبر الإنسان، وقد يكتفي في سن متأخرة بمجالسة الآخرين دون تكوين صداقات... وفي مجتمعاتنا اليوم صور متعددة للمجالس التي قد نرتادها ونعتاد عليها، وهي تختلف من بلد إلى آخر من حيث

المسّي، ومن حيث طريقة عقدها وتهيئتها، فقد تأتي في صورة ما يُعرَف في مجتمعاتنا باسم (الديوان أو الديوانية) وارتياها -في الكويت- من قِبَل الشباب وكبار السنّ عادة شبه يومية، وتستهلك قدرًا ملحوظًا من وقت روادها.

وتأتي أيضاً في صورة المقاهي، حيث تجمع بين صفة الديوانية في كونها مُلتقى الزملاء أو الأصدقاء، كما قد يرتادها البعض دون الرغبة في لقاء أحد، بل إمضاء الساعات الممتدة مع (الشيشة)، ولمشاهدة المسابقات الرياضية، والأفلام، وتقليب صفحات منصّات التواصل الاجتماعي أثناء احتساء الشاي أو القهوة.

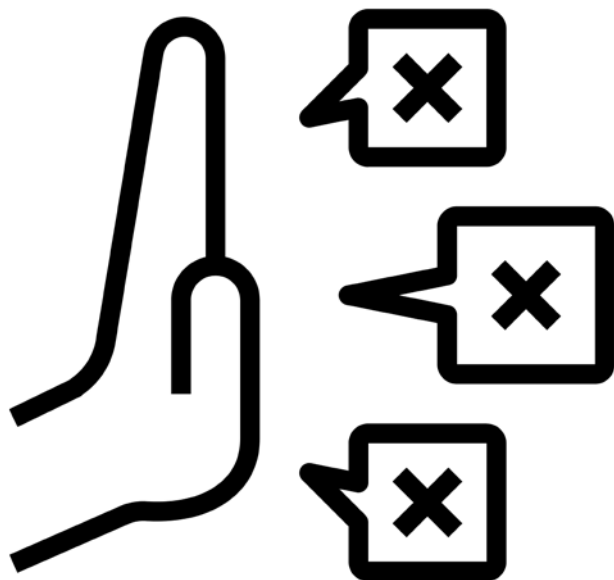
وهكذا تأتي المحادثة عبر الإنترنت كصورة من صور مجالسة الآخرين، وقد تطول كذلك لساعات ممتدة، كما دخل على الخطّ المحادثة الافتراضية مع الذكاء الاصطناعي وحول أتفه الأمور.

هذه الصور وأمثالها من المجالس قد تكون سبباً لتضييع العمر، أي تضييع فرصة لا تتكرّر، ولا تُسترجع، وإلهدار للطاقات، وهي انعكاس لحالة من فقدان الإحساس بالمسؤولية.. وفي الحديث عن الإمام عليه السلام: (احذروا ضياع الأعمار في ما لا يبقى لكم، ففانئتها لا يعود).

طواغيت الأسرة



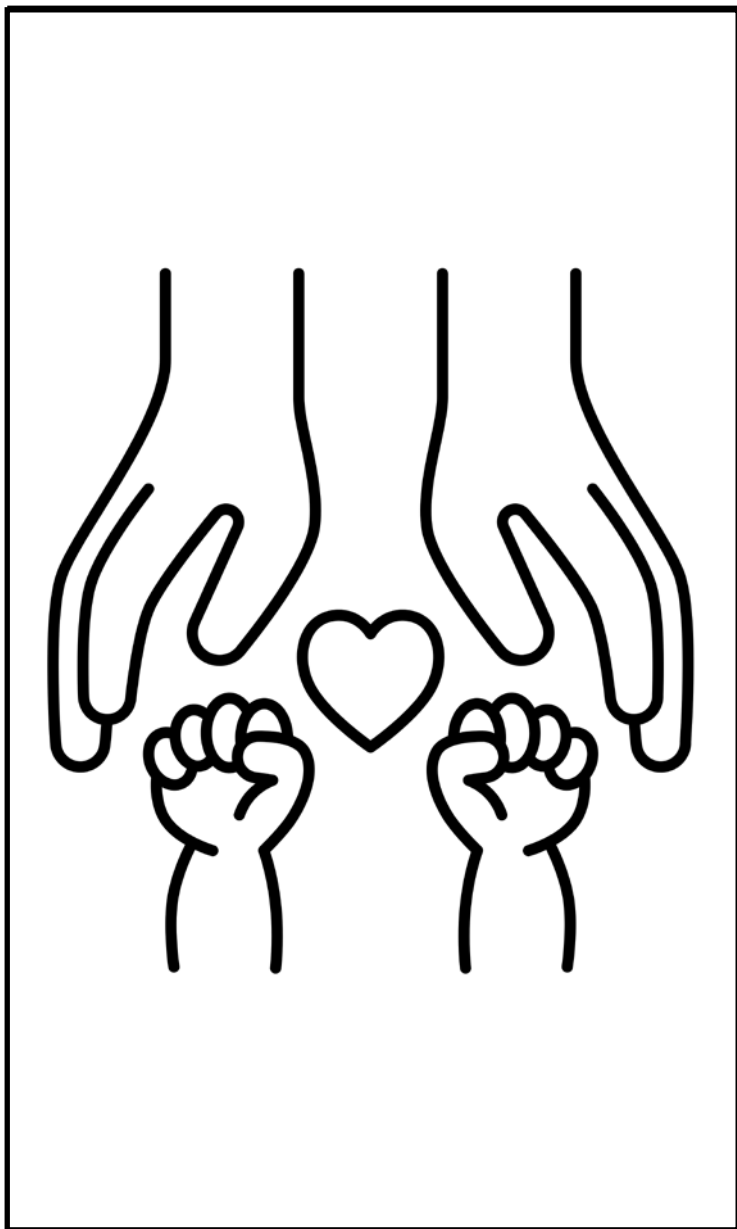
المكابرة عند الخلافات الزوجية، والإصرار على استمرارها، بذريعة الاعتزاز بالنفس، وحفظ الكرامة، لن تُخَلَّفَ إلا بيتاً تعيشاً، وبيئة مشحونة بالصراعات، وأُسرة مفككة، وخلافات مستمرة... وقد أخبر الله ﷺ عن شأن بعض الطغاة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ... ٢٠٦﴾ [سورة البقرة]، أي إنَّ عَزَّتْهُ الكاذبة الناشئة عن روحية الطغيان حملته على المكابرة



وعدم الاعتراف بارتكاب الإثم المنهني عنه، وأغرته بالاستمرار على ارتكابه، وإن كان في قرارة نفسه يدرك الحقيقة، وأن الخير في الاعتراف وتصحيح الموقف.

ومن الممكن أن يتحوّل الزوج إلى طاغوت في بيته، وأن تصبح الزوجة طاغوتاً في إطار الأسرة، ومفتاح ذلك أن تأخذها العزة الكاذبة والتشدد بالكرامة نحو تدمير رابط الزوجية من خلال الإصرار على الموقف، والمكابرة على الخطأ، والتعالي على التسامح، من دون مبرر حقيقي يستدعي ذلك، وفي الحديث النبوي: (عليكم بالعفو، فإن العفو لا يزيد العبد إلا عزاً، فتعافوا يُعزكم الله).

فالمصلحة العليا تفرض المحافظة على الأسرة والحالة الزوجية والميثاق الغليظ، وهي بدورها تفرض التعالي على الجراح، وكسر النفس، وتجاوز العزة الكاذبة، والكبرياء الفارغة... والله -ربُّ العزة- الذي نظم العلاقات الإنسانية يريد من الطرفين أن يضعوا كل شيء في موضعه... وأن يبادر أحدهما بتجاوز المشكلة... بالاعتذار بطريقةٍ ما، وعلى الآخر أن يقبل ذلك الاعتذار ويقدر له هذه المبادرة.



الأنثى السويّة



الأمومة فطرة الله في الأنثى، وغريزة من أقوى الغرائز لدى المرأة السويّة، وتبرز معالمها في الطفولة المبكرة حين تحتضن دُميتها وتعتني بها... وحين تتفتّح ببلوغها ورُشدّها واقترانها بشريك حياتها، تُزيّن الدنيا بأرق وأرقى عواطف البشر وأبقاها. بل إننا نجد من الفتيات من تُقدّم على الزواج فقط من أجل أن تُصبح أمّاً تعتني بطفلها، ولولا هذه الغريزة القوية لرأينا عزوفاً عند معظم النساء عن الزواج والحمل والولادة.

كما أنّ ما تعيشه الزوجة التي تُحرّم من الذريّة من الشعور بالحرمان الشديد ناشئ من شعورها بحرمانها من أهم خصائصها كأمّارة... ومهما حاولت أن تعوّض هذا النقص بصورة أو بأخرى، فإنّها في نهاية المطاف ستبقى تستشعر فراغاً هائلاً في حياتها، وأن لا شيء يمكنه أن يملأ هذا الفراغ، وقد تظهر بعض أعراض الاضطرابات النفسية أو النفسجسمية إلى أن تجد لها حلاً ومخرجاً، وقد تختار أن يكون الحل بالنسبة إليها تبني طفلٍ تمنحه حبّ الأمومة أو تختار التسامي بغريزة الأمومة من خلال رعاية الأيتام، أو العمل في دور حضانة الأطفال، أو رعاية أطفال العائلة، أو ما شابه ذلك.. هذه هي فطرة الله التي فطر المرأة عليها، وجعلها من أقوى خصائصها ووظائفها لتعمر بها الحياة.

ومن هنا، يبرز رفضنا القاطع لدعوات النسويّة المتطرّفة -التي روّجت في السنوات الأخيرة- لمقولة إنّ الأمومة مجرد قرار تتّخذه المرأة بدافع خاص، أو تأثراً بالعوامل المحيطة بها في مجتمعها، وأن التخلي عنها -مهما بلغ حجم ذلك- لا يُعدّ مشكلة عن قريب أو بعيد... فالأمومة -في منظورنا كمسلمين- فطرة الله التي فطر الأنثى عليها، ولا تبديل لخلق الله.

شُكر الله



عن الصادق عليه السلام قال: (بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ مَعَ بَعْضِ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ إِذْ ثَنَّى رَجُلُهُ عَنْ دَابَّتِهِ ثُمَّ خَرَّ سَاجِدًا فَأُطَالَ فِي سَجُودِهِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَعَادَ، ثُمَّ رَكَبَ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْنَاكَ ثَنَيْتَ رَجْلَكَ عَنْ دَابَّتِكَ ثُمَّ سَجَدْتَ فَأُطِلْتَ السَّجُودَ؟ فَقَالَ: إِنَّ جَبْرِئِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَانِي فَأَقْرَأَنِي السَّلَامَ مِنْ رَبِّي وَبَشَّرَنِي أَنَّهُ لَنْ يُخْزِيَنِي فِي أُمَّتِي، فَلَمْ يَكُنْ لِي مَالٌ فَاتَّصَدَّقْتُ بِهِ، وَلَا مَمْلُوكٌ فَاعْتَقَهُ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَشْكُرَ رَبِّي).

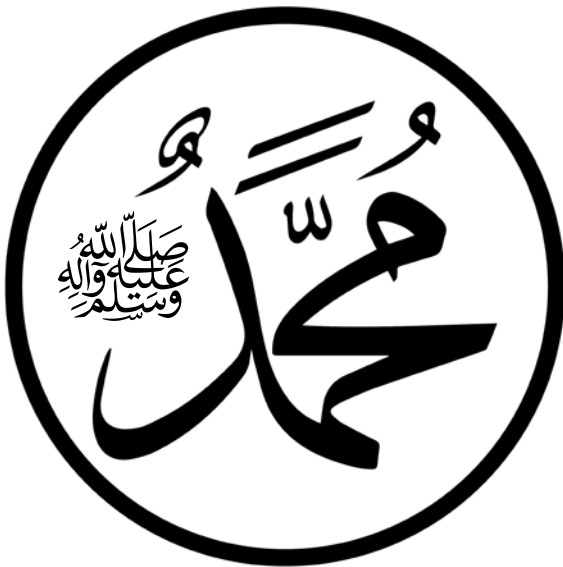


عندما تشكرُ بلسانك شخصاً قدّم لك خدمة وتُثني عليه، فهذا من الأخلاق، ولكن عندما تُقدّم له شيئاً في مقابل هذا العطاء، كأنّ تدعو له بالغيب، أو تهدي له ثواب ركعتين، أو تعينه لاحقاً حين يحتاج إليك، فهذا من مكارم الأخلاق.

شُكر الله ﷻ على نعمه باللسان يُمثّل أقل قدر من الشكر... والأجمل من ذلك أن يقوم الشاكر بالعطاء، ولا يكتفي بالقول فقط. وهناك مرتبة متوسطة بين الإثنين، وذلك حين يفقد الإنسان الإمكانية المادية للعطاء، فينتقل إلى الكون في حالة من العبادة، كأداء ركعتي صلاة، أو سجدة الشكر، أو الصيام تعبيراً عن ذلك.

ثم إن الشُكر لله لا يكون على العطاء الإلهي الخاص بالمنعم عليه فقط، بل حتى فيما يرتبط بالآخرين ممن يهّمه أمرهم، إما على مستوى العلاقة الشخصية، أو العلاقة الرسالية، فقد كان سجود النبي ﷺ في الحديث السابق شكراً لعطاء الله لأُمته.

وأخيراً... فإنه مهما عظم ما نُقدّمه من صور الشكر بين يدي الله ﷻ، فإنه لا يمثّل شيئاً في مقابل عطائه اللامتناهي.



نبيّ الأخلاق



مما جاء في وصف أخلاق النبي ﷺ وسننه كما في مجموعة من النصوص في ماله علاقة بالتواضع على الرغم من موقعه القيادي: (كان النبي ﷺ يرقع ثوبه ويخسف نعله، ويحلب شاته، ويأكل مع العبد، ويجلس على الأرض، ويركب الحمار ويردف، ولا يمنعه الحياء أن يحمل حاجته من السوق إلى أهله).

ومن صور السلوك الاجتماعي العام: (ويصافح الغنيّ والفقير، ولا ينزع يده من يد أحد) أي عند المصافحة (حتى ينزعها هو. ويسلم على من استقبله من غنيّ وفقير، وكبير وصغير. ولا يحقر

ما دُعي إليه ولو إلى حَشَفِ التمر) أَرَدَأُ أنواعه (خفيفُ المؤونة، كريمُ الطبيعة، جميلُ المعاشرة، طَلِقُ الوجه، بَسَامٌ مِنْ غيرِ ضحك) قهقهة (محزونٌ مِنْ غيرِ عُبوس، إِذَا حَدَّثَ بِمَحْدِثٍ تَبَسَّمَ فِي حَدِيثِهِ) وهذا مدعاة للتأثير من خلال الكلام (متواضع من غيرِ مذَلَّة، جَوَادٌ مِنْ غيرِ سَرْفٍ... يُقَسِّمُ لِحَظَاتِهِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ، فَيَنْظُرُ إِلَى ذَا وَيَنْظُرُ إِلَى ذَا بِالسُّوِيَّةِ، وَلَمْ يَبْسُطْ رِجْلِيهِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ قَط. وَأَكْثَرُ مَا يَجْلِسُ تَجَاهَ الْقِبْلَةِ. مَا رَدَّ سَائِلَ حَاجَةٍ قَطْ إِلَّا أَتَى بِهَا، أَوْ بِمِيسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ، وَكَانَ أَخَفَّ النَّاسِ صَلَاةً فِي تَمَامٍ) أَيِ دُونَ إِخْلَالِ بَوَاجِبَاتِهَا (وَأَقْصَرَ النَّاسِ خُطْبَةً، وَأَقَلَّهُمْ هَذَرًا. لَا يَدْعُ أَحَدًا يَمْشِي مَعَهُ إِذَا كَانَ رَاكِبًا حَتَّى يَحْمِلَهُ مَعَهُ، فَإِنْ أَبَى قَالَ: تَقَدَّمَ أَمَامِي وَأَدْرِكْنِي فِي الْمَكَانِ الَّذِي تُرِيدُ. وَإِذَا فَقَدَ الرَّجُلَ مِنْ إِخْوَانِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ سَأَلَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ غَائِبًا دَعَا لَهُ، وَإِنْ كَانَ شَاهِدًا زَارَهُ، وَإِنْ كَانَ مَرِيضًا عَادَهُ) وَكَانَ ﷺ يُرَاعِي حُسْنَ مَظْهَرِهِ الْخَارِجِي (فَيَنْظُرُ فِي الْمِرَاةِ وَيُرَجِّلُ جُمَّتَهُ) يَمْشِطُ مَجْتَمِعَ شَعْرِ النَّاصِيَةِ (وَيَمْتَشِطُ، وَرَبَّمَا نَظَرَ فِي الْمَاءِ وَسَوَّى جُمَّتَهُ فِيهِ...) عَلَى خِلَافِ تَصَوُّرِ الْبَعْضِ مِنْ أَنَّ التَّدِينِ يَعْنِي أَنْ تَكُونَ غَيْرَ مُرْتَبِ الْهِنْدَامِ (وَكَانَ يُعْرِفُ بِالرِّيحِ الطَّيِّبِ إِذَا أَقْبَلَ. وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا).

راتب بلا بركة



البركة في المصطلح الديني تأتي بمعنى ثبوت الخير الإلهي في الشيء، ونمائه وزيادته. وهي تختلف بحسب الأغراض المتوقعة من الأشياء، فالطعام المبارك هو طعام يُشبع جمعاً كثيراً مثلاً، والوقت المبارك هو الذي يسع أعمالاً كثيرة... وهكذا.

وفي القرآن حديث عن البركة كما في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ٩٦﴾ [سورة الأعراف].



كما أنّ في الأحاديث الشريفة كلاماً مباشراً عن أسباب حصول البركة في الشيء.. فعن الإمام الصادق عليه السلام: (صَلَةُ الرَّحِمِ تُزَكِّي الْأَعْمَالَ، وَتُنْمِي الْأَمْوَالَ، وَتُيسِّرُ الْحِسَابَ، وَتَدْفَعُ الْبَلْوَى، وَتَزِيدُ فِي الْأَعْمَارِ).

ولكن في المقابل هناك أحاديث تنبّه إلى نزاع البركة في بعض الحالات، ومن بينها ما روي عن الباقر عليه السلام قال: (وجدنا في كتاب رسول الله ﷺ: إذا ظهر الزنا من بعدي: كثر موت الفجأة، وإذا طُفّف المكيال والميزان: أخذهم الله بالسنين والنقص....).

والتطفيف لا يقتصر على عالم التجارة... فالموظف يمكن أن يكون من المطففين حين يأتي إلى عمله متأخراً دون عذر، وحين يقضي وقته في العمل بعيداً عن مكتبه ويشغله بالأحاديث الجانية أو بغير ذلك مما يكون على حساب إنجاز عمله أو التعامل مع المراجعين، وحين يكون بإمكانه إنجاز العمل في الوقت نفسه ولكنه يماطل ويطلب من المراجع أن يراجع الإدارة بعد أيام فهو من المطففين، وتطفيفه ينزع البركة من راتبه... وكثيرون يشتكون من عدم البركة في الراتب، وقد يكون المسبب لذلك هو الموظف نفسه عندما يُطَفَّف.



صناعة النكد



يقال إنّ أحد الأزواج، وبعد معاناته مع زوجته النكدية، هداه الله إلى فكرة عبقرية ظنّ أنها سوف تريحه قليلاً من النكد اليومي، فاقترح على زوجته أن يقتسم معها أيام الأسبوع، يوم نكد، ويوم من دون نكد، وبعد موافقة الزوجة على مضمض طار الزوج فرحاً لنجاحه في إتمام الاتفاق الذي بمقتضاه سيفوز بنصف عمره بلا نكد.

ومن خلال القرعة صار أول يوم من نصيبها، فتفتّنت الزوجة في كل أساليب وصنوف النكد على الزوج، وهو صابر، ولكن ما إن جاء اليوم التالي حتى وجدها تترّتم: «بُكرة النكد... بُكرة...»، فنكّدت عليه يوم إجازته أيضاً.

عند الحديث عن التّكد في الحياة الزوجية، فإنّ الكلام يدور عادة حول الزوجة النكدية، ولكن الإنصاف يقتضي أن نُعمّم الأمر على الرجل أيضاً، والرواية التالية تحذّر من ذلك... ففي الكافي بالسند عن رسول الله ﷺ أنه قال: (أخبرني أخي جبرئيل، ولم يزل يوصيني بالنساء حتى ظننت أن لا يحل لزوجها أن يقول لها أف، يا محمد، اتقوا الله عز وجل في النساء، فإنهن عوان بين أيديكم) في أسركم وتحت سلطتكم (أخذتموهن على أمانات الله عز وجل لما استحللتم من فروجهن بكلمة الله وكتابه من فريضة وسنة وشريعة محمد بن عبد الله ﷺ فإنّ لهنّ عليكم حقاً واجباً لما استحللتم من أجسامهن، وبما واصلتم من أبدانهن، ويحملن أولادكم في أحشائهن حتى أخذهن الطّلق من ذلك، فأشفقوا عليهن، وطيبوا قلوبهن حتى يقفن معكم، ولا تُكرهوا النساء، ولا تَسخطوا بهن، ولا تأخذوا مما أتيتموهن شيئاً إلا برضاهن وإذنهن).

٩٤

أوصوا أبناءكم



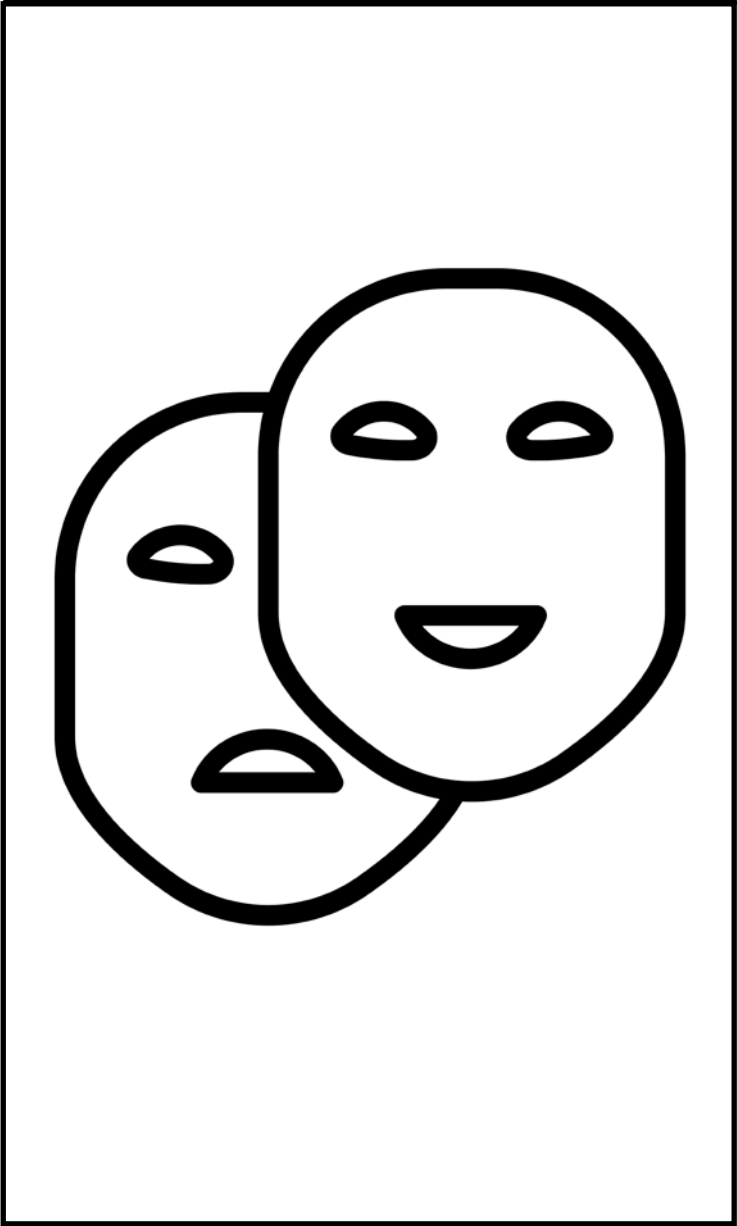
وصية الآباء للأبناء من سنن الأنبياء ﷺ: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ
بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ١٣٢ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ
إِذْ قَالَ لِبَنِيِّهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ١٣٣﴾
[سورة البقرة].



ومِمَّا أَوْصَى بِهِ الْإِمَامُ الْكَاسِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (يَا بَنِيَّ، إِنِّي أَوْصِيكُمْ
بِوَصِيَّةٍ مَنْ حَفِظَهَا لَمْ يَضَعْ مَعَهَا؛ إِنْ أَتَاكُمْ آتٍ فَأَسْمَعَكُمْ فِي
الْأُذُنِ الْيَمْنَى مَكْرُوهًا، ثُمَّ تَحَوَّلْ إِلَى الْأُذُنِ الْيُسْرَى فَاعْتَذِرْ وَقَالَ:
لَمْ أَقُلْ شَيْئًا، فَاقْبَلُوا عُذْرَهُ).

بمثل هذه الروحية العظيمة، وبمثل هذه الأخلاق القرآنية
يُرسَخُ الإمام في أبنائه قيمةً أخلاقيةً عملية، ليكونوا الكاظمين
للغيظ كما كان، والعافين عن الناس كما عُرف عنه، حتى بات
لقباً له، وبمقدار ما نلتزم بوصاياهم، كنّا أقرب إليهم، وأشدّ
تمسكاً بولايته.

وأبناؤنا بحاجة إلى أن يسمَعُوا مِنَّا مثل هذه الوصايا والتوجيهات
الإيمانية والأخلاقية وَمِنْ حِكْمِ الْحَيَاةِ... إذ لا يكفي أن نوَقِّرَ
لهم الطعام والكسوة والسكن الملائم، وإن كان كلّ ذلك ضرورياً،
ولا أن نحقق لهم الترفيه بالسفر واللعب والتسوّق، مع التأكيد
على أنهم بحاجة للترفيه عن النفس أيضاً... فالتغذية الروحية،
والتوجيه الأخلاقي، والبناء العقلي والمعرفي والديني كلّ ذلك من
مسؤوليات الوالدين بقدر ما أن تأمين احتياجاتهم المادية من
مسؤولياتهما.



تصريف الأخلاق



في الخطبة برقم ١٧٦ من نهج البلاغة أن علياً عليه السلام قال: (ثُمَّ
إِيَّاكُمْ وَتَهْزِيعَ الْأَخْلَاقِ وَتَصْرِيفَهَا، وَاجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِدًا).

التهزيع هو التكسير والتحطيم إلى أجزاء.. ولذا فإن من أسماء
الأسد: الهزاع، لأنه يكسر عظام فريسته ويحطمها بأنياه
وقبضته... والتصريف هو التغيير والتبديل. وحيث رُبط التهزيع
بالأخلاق، فإنه يمكن تصوّر ذلك على ثلاثة أنحاء:

(١) الالتزام بالمباديء الأخلاقية مع فئة من الناس فقط...
الصدق، الأمانة، العدل، وأمثالها من القيم لا تحضر في سلوكياته
إلا مع مَنْ كانوا على مثل دينه أو مذهبه... والإمام يحذّر من مثل
هذا السلوك المعيب... فالأخلاق لا تتجزأ.

(٢) تغيّر تصرّفاته بحسب الظروف، فإذا كان راضياً ارتقى في
سلوكه الأخلاقي، وإن كان غاضباً أطلق لسانه للشتائم والبهتان
وقبيح الكلام. أو على العكس من ذلك، فعندما يكون تحت
الضغط، لمرض أو حاجة ملحة، يلين ويغدو مؤدّباً مُهذّباً، لأنه
يشعر بالضعف والخوف من ردّة فعل الآخرين التي لا يستطيع أن
يتحمّلها أو أن يواجهها.

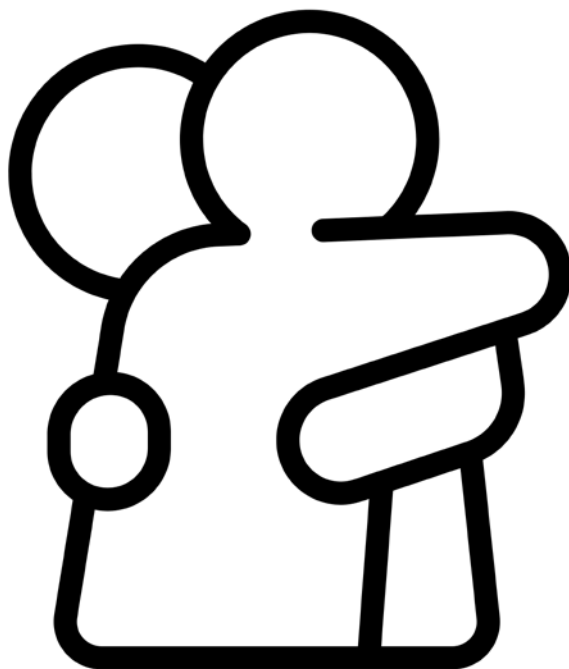
(٣) تكييف سلوكه الأخلاقي تناغماً مع المقابل، فإن كانوا من
معارفه أو مَنْ يحققون له مصلحته، ارتقى أخلاقياً... وإن تبدّلوا،
انحطّ إلى أدنى مستوى.

الأخلاق بالنسبة إلى هذه النماذج ليست حقيقة متجسّدة في
فكرهم ومشاعرهم وسلوكياتهم، بل هي بمثابة قِطع من الثياب
الحسنة... متى ما حان وقت ارتدائها، تلبّسوا بها، فإذا انقضت
حوادثهم أو تبدّلت الظروف من حولهم... نزعوها!



هل أنا جعفري؟

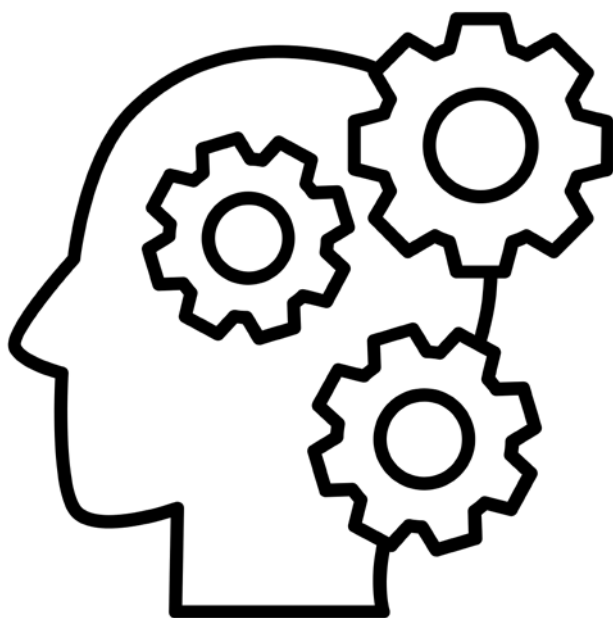
في الكافي بالسند عن صفوان الجمال قال: (وقع بين أبي عبدالله عليه السلام وبين عبدالله بن الحسن كلامٌ حتى وقعت الضوضاء بينهما واجتمع الناس، فافترقا عشيتهما بذلك، وغدوتُ في حاجة فإذا أنا بأبي عبدالله عليه السلام على باب عبدالله بن الحسن وهو يقول: يا جارية، قولي لأبي محمد. قال: فخرج، فقال: يا أبا عبدالله، ما بكِّر بك؟ قال: إني تلوت آية في كتاب الله البارحة



فأقلقتني. فقال: وما هي؟ قال: قول الله «عز وجل ذِكرُهُ»: ﴿وَالَّذِينَ
يَصْلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ
الْحِسَابِ ٢١﴾. فقال: صدقت، لكأنّي لم أقرأ هذه الآية من كتاب
الله قط، فاعتنقا وبكيا).

بالرجوع إلى الظروف المحيطة بهذا الحدث وما سبقه يتبيّن
لنا بوضوح أن عبدالله بن الحسن كان هو المخطئ بحق الإمام،
إلا أنه ﷺ وجد أنّ صلة الرحم وإصلاح ذات البين تستوجبان
منه مثل هذه المبادرة، وهي من أسباب تحقيق العزة والكرامة
للكيان الأسري والمجتمعي، كما ولا تعيب صاحبها، بل تزيده
عزاً ورفعة وكرامة... ولذا لم يتأخر ﷺ عن ذلك، وإن كان -على
المستوى الشخصي- قد قدّم تنازلاً من خلال ما أقدم عليه.

والسؤال: إلى أي مدى تتوافق مواقفنا في مثل هذا الظرف مع
موقف الإمام؟ وإلى أي مدى نحن (جعفريون) على المستوى
العملي، وليس مجرد حمل العنوان؟ إذ لا يكفي لكي نكون
جعفرين أن نلتزم بفقّه جعفر ﷺ في الطهارة والصلاة والنكاح
والطلاق.. بل أن يكون سلوكنا العام -أيضاً- متناغماً مع سلوك
الإمام جعفر الصادق ﷺ.



العقلانية



انطلق الإسلام في حياة الناس من قاعدة أصيلة وهي: اعتبار العقل قوة صالحة للحكم على الأشياء، وميزاناً يزن به صحة القضايا وفسادها، وتدللّ على ذلك نصوص كثيرة، من بينها:

(١) العقل دليل على الدين... عن الإمام الصادق عليه السلام: (مَنْ كَانَ عَاقِلاً كَانَ لَهُ دِينٌ، وَمَنْ كَانَ لَهُ دِينٌ دَخَلَ الْجَنَّةَ).

(٢) العقل مِنْ حُجَجِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ... عن الصادق عليه السلام: (حُجَّةُ

الله على العباد النبي، والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل).
 (٣) العقل معيار الإثابة والعقوبة... عن الصادق عليه السلام: (لَمَّا خَلَقَ
 اللَّهُ الْعَقْلَ قَالَ لَهُ أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ، فَقَالَ: وَعِزَّتِي
 وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَحْسَنَ مِنْكَ، إِيَّاكَ أَمَرْتُ، وَإِيَّاكَ أَنْهَيْتُ،
 وَإِيَّاكَ أَثِيبُ وَإِيَّاكَ أَعَاقِبُ).

ويمكن تصنيف الحالات التالية على أنها مخالفة للعقلانية:

١. اتخاذ القرارات وفقاً للعاطفة عندما يتعارض حكمها مع حكم العقل.

٢. اتباع الهوى والغرائز دون تفكير، أو مع العلم بالخطأ... وقد روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: (آفة العقل الهوى).

٣. بناء المواقف وفقاً لقاعدة [الحشر مع الناس عيدين]... وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (لا تكونن إمعة، تقول أنا مع الناس، وأنا كواحد من الناس).

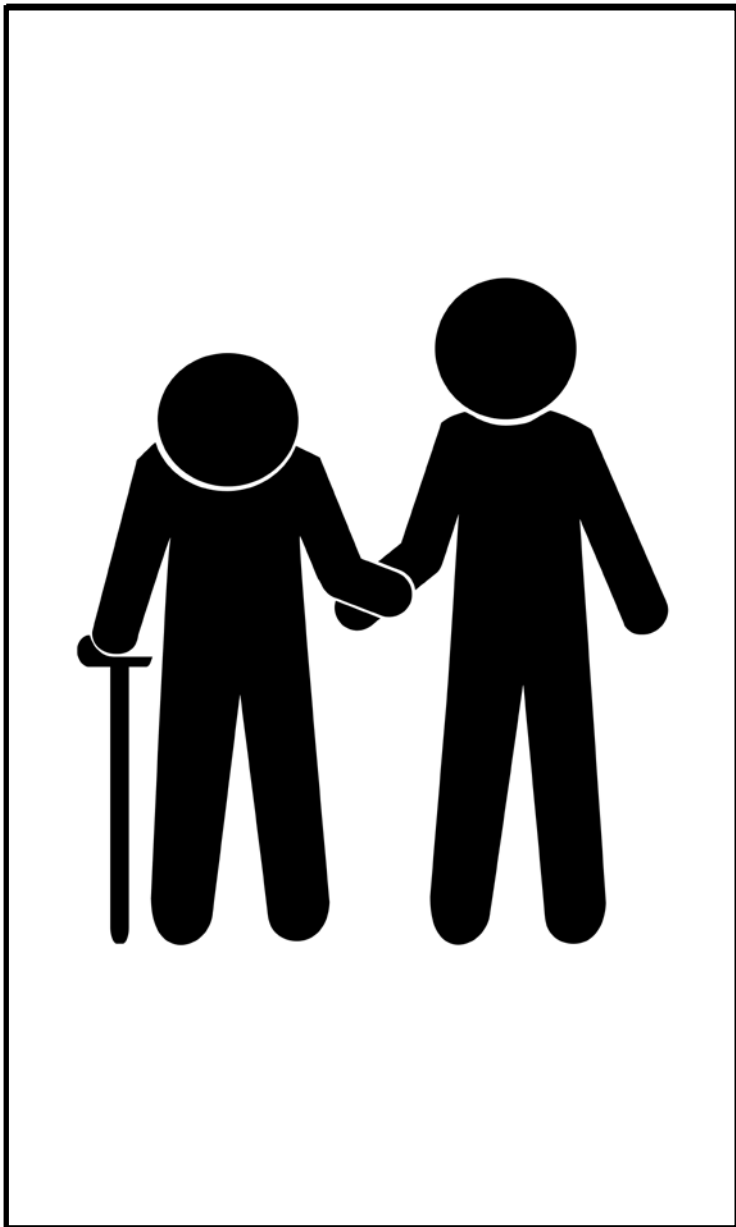
٤. تقديس تراث الآباء دون فهم ولا دليل ولا قناعة: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ١٧٠ ﴿[البقرة: ١٧٠].



يمكن تصوّر العمل على ثلاثة أنحاء:

(١) ما يكون في مقابل الجزاء، بأن يلحظ العامل مقدار الأجرة التي ستُدفع له، فإن كانت منخفضة بذلَّ جُهداً بمقدارها، وإن كانت مرتفعة ارتفعت همّته معها. ومن البين أن هذا النوع من العمل تبرز فيه (الأنا) وحبّ الذات بقوة.

(٢) ما يكون من نوع الوفاء، بأن يلحظ العامل ما سبق إليه من عطاء فيتحرّك إيجابياً نحو العطاء، دون توقّع أيّ أجر في



المستقبل، تماماً كما يفني الابنُ لوالديه بملاحظة ما قدّمه له في ماضي حياته، ولا شك أن هذا النوع من العمل يُعدّ أرقى مرتبة من النوع الأول.

(٣) ما يكون من نوع الإحسان، بمعنى حُبِّ الخير والجلود والعطاء لذاته من دون أيّ توقع أو ترقّبٍ لمقابلٍ من الطرف الآخر في المستقبل، ومن دون أن يكون هذا العطاء جزاءً على عملٍ صالحٍ للمُحسنِ إليه في ما سبق. فالأَمّ حين تُقدّم ذلك العطاء اللا محدود لابنها، فليس لتوقع العطاء من الابن في المستقبل، ولا وفاءً لما قدّمه الابن لها في الماضي. وهذا أرقى الأنواع الثلاثة من العمل، وهو ينبع من صافي فطرة الإنسان ويتدفّق بالخير كأزكى ما يكون.

ومن هنا خلّد القرآن الكريم عطاء أهل البيت % للمسكين واليتيم والأسير في قوله: «وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ» لماذا؟ لأنه -أولاً- إطعامٌ «عَلَى حُبِّهِ ... ٨» -وثانياً- لأنه «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ٩»... ومن هنا أيضاً كان الجزاء الإلهي متميّزاً لمثل هذا العمل الخالص الذي لا يُمكن أن يوزن بموازين البشر أبداً.





﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى ۖ ٦ أَن رَّاهُ اسْتَغْنَى ۖ ٧﴾ [سورة العلق].

من مصاديق ذلك ما جاء في قوله ﷺ: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ.... ٧٦﴾ [سورة القصص].

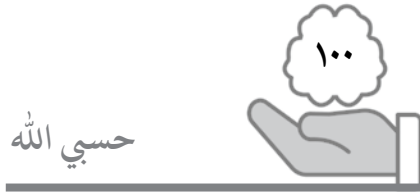
إلا أن الآيتين لا تتحدثان عن نموذج الأثرياء كقارون فقط، لأن كلمة ﴿اسْتَغْنَى﴾ -لغويًا- لا تدلّ على الثراء الماديّ فحسب، بل وتشمل صوراً أخرى من الاستغناء.

فالشعور بالغنى قد يتحقّق -أيضاً- من خلال امتلاك رصيدٍ وافرٍ من العلم الذي يشعر معه الفرد بأنّ لديه ما ليس عند الآخرين، فيدفعه هذا إلى الاستعلاء والطغيان والتكبر، والاستهزاء بعقول الآخرين، وتحقير معارفهم، وقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: (مَنْ طلب العلم ليهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، فليتبوأ مقعده من النار، إن الرئاسة لا تصلح إلا لأهلها).

وهكذا قد يتحقّق الشعور بالغنى من خلال الامتداد الجماهيري الذي يُحقّقه الفرد أو تُحقّقه الجماعة الدينية أو الحزب السياسي، فيكون ذلك منطلقاً لا للارتقاء بالمجتمع وخدمة الناس، وتوظيف هذا الامتداد في حلّ مشكلاتهم وقضاء حوائجهم، بل للطغيان عليهم وتحقيق المصالح الشخصية أو الفئوية.

كما وقد يتحقّق من خلال العنوان الذي ورثه الإنسان، كالانتساب إلى أسرة ذات امتياز سلطوي أو اجتماعي أو ديني، فيدفعه هذا إلى النتائج السابقة نفسها.

والخلاصة أن الشعور بالاستغناء -بأية خلفيّة كانت- قد يدفع بالإنسان إلى الطغيان، وهو ما ينبغي الحذر منه على الدوام.



(حسبي الله ونعم الوكيل)... عبارة يردّها كثيرون تعبيراً عن الانزعاج من أمر ما، أو كنوع من الدعاء -الضميّ- على ظالم، ولربما قرنوا ذلك بصفق كفّ على أخرى، في إشارة إلى قلة الحيلة، وكأنّهم يقولون: (ما باليد حيلة).

ولكن الملاحظ أن الدلالة الكبرى والأهم لتلك العبارة غالباً ما تكون غائبة عند هؤلاء، والمتمثلة في بيان الأرضية والقاعدة



الراسخة التي من خلالها يجب أن ينطلق الإنسان المؤمن في مواجهة التحديات والصعاب التي يواجهها في الحياة.

وهذا ما تبينه الآيات المتضمنة لهذه العبارة، كقوله ﷺ: «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ، فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ١٧٣﴾ [سورة آل عمران]، وقوله ﷺ: «فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ١٢٩﴾ [سورة التوبة].

فالله ﷻ الذي بيده كل شيء هو الذي يكفيني عمّن سواه، وفي كلّ أموري، فأنا أتوكل عليه وأفوض إليه أموري، ليهديني إلى ما يُحقّق لي أفضل النتائج، ولما هو خيرٌ لي، على المستويين الدنيوي والأخروي، ونعم من توكلت عليه. كما وأنطلق في التعامل مع تحديات الحياة ومتغيراتها من خلال ثقتي العظيمة بالله، لإيماني بأنه السميع البصير العليم الحكيم الذي له ملك السماوات والأرض وهو على كل شيء قدير.

ويبرز الخلل الأكبر حين يردّد البعض هذه العبارة بينما يكونون -عملياً- على خلاف ذلك تماماً، إذ تتعلّق قلوبهم بغيره، ولا يتطلّعون إلا إلى من سواه!

المحتويات



١١	المقدّمة
١٥	١. ذباب ونحل
١٧	٢. عتاب بحساب
٢١	٣. اتزان المؤمن
٢٣	٤. معادلة غريبة
٢٧	٥. ذبابة وصخرة
٢٩	٦. البحث عن العز
٣٣	٧. الإتيقان والنجاح
٣٥	٨. لا تكن فوضوياً
٣٩	٩. عذاب القبر
٤١	١٠. لا يحاسبني إلا الله
٤٥	١١. قَيْض بَيْض
٤٧	١٢. مرارة الحق

٥١	١٣. المال الحرام
٥٣	١٤. البحث عن فضيحة
٥٧	١٥. اتَّبِعُوا ابْنَ أَخِي
٥٩	١٦. المسافة الآمنة
٦٣	١٧. أمنيات عام جديد
٦٥	١٨. خيرة وردّ غطاها
٦٩	١٩. مودّة بينكم
٧١	٢٠. حاحام يغسل خسة
٧٥	٢١. آداب المرور
٧٧	٢٢. على باب العطار
٨١	٢٣. خبز وملح
٨٣	٢٤. طرّار ويتشرط
٨٧	٢٥. ذئب في جلد سخلة
٨٩	٢٦. بين الباقر وعطاء
٩٣	٢٧. شسع نعل الإمام
٩٥	٢٨. صرْتُ منافقاً
٩٩	٢٩. طلب الحلال
١٠١	٣٠. المصباح السحري
١٠٥	٣١. أتعس الناس
١٠٧	٣٢. دعوا هذه اللّماظة
١١١	٣٣. يا غريب كُنْ أديب
١١٣	٣٤. هَوّنوا عليكم

٣٥. كونوا زيناً ١١٧
٣٦. مِنْ حَقِّي أَنْ أَغْضِب ١١٩
٣٧. صواريخ شلتوتية ١٢٣
٣٨. قِيَمَ فِطْرِيَّة ١٢٥
٣٩. معيار التفاضل ١٢٩
٤٠. حُبَّ اللَّهِ ١٣١
٤١. قَطِيعَةٌ وَصِلَةٌ ١٣٥
٤٢. ابن المحظوظة ١٣٧
٤٣. سؤال غير بريء ١٤١
٤٤. رَدَّ المَظَالِم ١٤٣
٤٥. تَأْلِيفُ القُلُوب ١٤٧
٤٦. تَعَقَّلُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ ١٤٩
٤٧. النار النار ١٥٣
٤٨. محاذير الوصية ١٥٥
٤٩. استقالة وزيرة ١٥٩
٥٠. فيض المودة والحُب ١٦١
٥١. المساواة ظُلِم ١٦٥
٥٢. فضيلة السلطان ١٦٧
٥٣. الموازين القسط ١٧١
٥٤. الطريق إلى الخير ١٧٣
٥٥. هكذا يكون القادة ١٧٧
٥٦. مريض... ولكن! ١٧٩

١٨٣	٥٧. حاجة أم رغبة؟
١٨٥	٥٨. اعترافات قاتل
١٨٩	٥٩. النبي والأسرى
١٩١	٦٠. نيّة بقيمة العمل
١٩٥	٦١. طاقة التسبيح
١٩٧	٦٢. أبعاد الصحّة
٢٠١	٦٣. وصفة سماوية
٢٠٣	٦٤. يوم الطلاق
٢٠٧	٦٥. علم النفس الإيجابي
٢٠٩	٦٦. لولا الخيال
٢١٣	٦٧. أرجوك ما تفتيش
٢١٥	٦٨. الاختبار المحكّم
٢١٧	٦٩. ١٦ ألف كلمة
٢٢١	٧٠. زوجي مسحور
٢٢٣	٧١. القلب السليم
٢٢٧	٧٢. بطانة السوء
٢٢٩	٧٣. النيّة الجميلة
٢٣٣	٧٤. الثقة بالله وبالناس
٢٣٥	٧٥. تكليف لا تشريف
٢٣٧	٧٦. ثلاث خصال
٢٤١	٧٧. وصفة للراحة
٢٤٥	٧٨. صفر مشاكل

٧٩. يشارك النعل ٢٤٩
٨٠. غَمَصَ الخلق ٢٥١
٨١. الضربة القاضية ٢٥٥
٨٢. لا أدعو لك ٢٥٧
٨٣. ساعة بعقرب واحد ٢٦١
٨٤. لو دامت لغيرك ٢٦٣
٨٥. بيت الأحلام ٢٦٧
٨٦. خلود الذَّكر ٢٦٩
٨٧. انْظُرْ مَنْ تُجَالِس ٢٧٣
٨٨. طواغيت الأسرة ٢٧٥
٨٩. الأنثى السويّة ٢٧٩
٩٠. شُكِرَ الله ٢٨١
٩١. نبيُّ الأخلاق ٢٨٥
٩٢. راتب بلا بركة ٢٨٧
٩٣. صناعة النكد ٢٩١
٩٤. أوصوا أبناءكم ٢٩٣
٩٥. تصريف الأخلاق ٢٩٥
٩٦. هل أنا جعفري؟ ٢٩٩
٩٧. العقلانية ٣٠١
٩٨. أصناف العمل ٣٠٥
٩٩. الاستغناء والطغيان ٣٠٧
١٠٠. حسبي الله ٣١١

